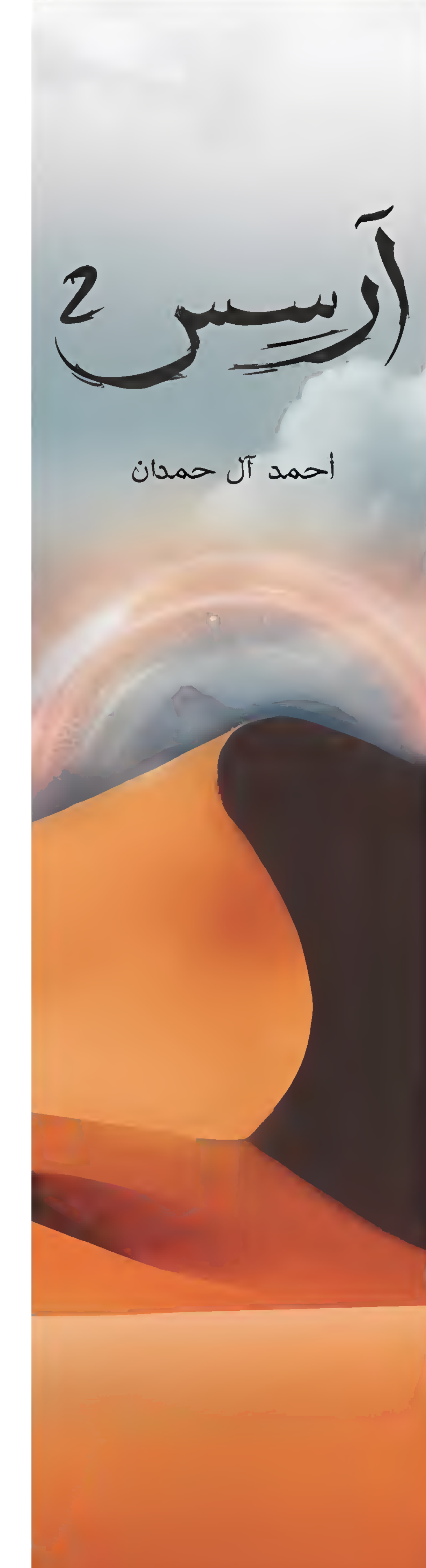


أحمد آل حمدان


آرس 2
أحمد آل حمدان



ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيـع، ١٤٤٥
آل حمدان، أحمد
آرسس الجزء الثاني. / أحمد آل حمدان - ط ١ - الدمام، ١٤٤٥ هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٢٥٦٧٦
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٥٥-١٩-٧

مجهز هذه النسخة: أشرف غالب



مسؤول النشر:
للتواصل
0597777444

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيـع
الموقع الإلكتروني:
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

رواية



أحمد آل حمدان



I_ahmedalhmdan

الطبعة الأولى

١٤٤٥ ـ ٢٠٢٤

لماذا عُدت؟

هل جئت تبحث عن الحقيقة؟!

سوف تجد ما جئت لتبحث عنه

ولكن الحقائق لا تأتي دون ثمن.

فإذا كنت لستَ مستعداًّ لدفع الثمن،

توقف هنا ولا تقلب هذه الصفحة.

هل أنت متأكد؟

هات يدك إذًا،

ولنمضِ إلى النهاية معًا..

أتعرف ما هو أسوأ من الموت؟

إنها الحقيقة التي تنتظرك بالداخل

1

إنها ليلة مُقمرة، يختلط فيها ضوء القمر بظلام الصحراء، فيبدو المنظر من بعيد أشبه بلوحة كونية متقنة الصُّنع، وكانت الأنفاس -أنفاس تلك الليلة- تعبق برائحة الرمل والمطر والريحان مما يجعل منطقة نجد بأكملها تبدو وكأنها جَنَّة أرضية.

❃❃

هناك بعيدًا:

وداخل غرفة مغلقة الباب ومُنارة بواسطة إضاءة خافتة، يفتح هاشم عينيه فجأةً ليجد نفسه مُمدَّدًا فوق سرير ما وثمة بعض الأسلاك تتصل بجسده.

جالت عيناه في الأرجاء قليلًا قبل أن يكتشف المكان الذي وجد نفسه فيه:

" لماذا أنا في المشفى؟! "

مدَّ يده اليمنى وقام بفصل الأسلاك عن جسده، وهَمَّ بالنهوض من مكانه غير أنه لم يستطيع فعل ذلك فقد كانت هنالك مفاجأة لم يتوقعها:

" كانت يده الأخرى مُقيَّدة بالأصفاد إلى السرير "

❃❃

في تلك اللحظة يُفتح باب الغرفة؛ لتدخل الممرضة المسؤولة عن حالته الصحية بعد أن استدعاها صوت الطنين الناجم عن فصله الأسلاك عن

جسده:

- أين زوجتي بلقيس، ولماذا أنا هنا؟!

وبالرغم من أنها كانت تعلم يقينًا بأن الأصفاد الحديدية لن تسمح له بالحركة، إلا أن نظراته الحاقدة كانت كافية لإثارة الرعب بداخلها؛ فهمت بالمغادرة، لكنه استوقفها:

- هذا التصرف لا يُعد من أخلاقيات مهنتك.

لقد نجح بسرعة بديهيته في تذكيرها بواجبها الأخلاقي كممارسة صحية.

- لقد عثر عليك رجال الشرطة مُمدَّدًا في منزلك بعد أن تعرَّضَ رأسك لضربة شديدة من الخلف أفقدتك الوعي لمدة ثلاثة أيام.

- ولماذا لا أستطيع أن أتذكر الشيء الذي ضرب رأسي؟!

- ربما لأنك تلقيت الضربة بطريقة مفاجئة.

- ولماذا أنا مُقيَّد بالأصفاد؟!

لم تُجب عليه الممرضة؛ مما دفعه لأن يستدرجها:

- هل جرت العادة أن تقوموا بتقييد مرضاكم في هذا المشفى؟!

- لا، ولكن جرت العادة أن تفعل الشرطة ذلك مع من يخالف القانون.

وهو يقطب حاجبيه: ما الذي تقصدينه؟!

أجابته بكلمات غامضة قبل أن تستدير وتغادر الغرفة مبتعدة:

- سوف تفهم كل شيء عندما يأتون بعد قليل يا سيد هاشم.

**

ظلَّ هاشم يُحدِّق إلى الباب - باب الغرفة - وهو يُغلَق أمامه بهدوء، وجعل يحاول أن يتذكَّر الأحداث الماضية علَّه بذلك أن يجد تفسيرًا منطقيًّا لما يحدث الآن.. **وكان آخر ما يتذكره هو أنه قد عاد بالزمن تسع سنوات إلى الوراء - بعد عبوره الآرسس - ليجد نفسه وقد استيقظ في الماضي.. تمامًا قبل يوم واحد من اليوم**

الذي سوف تُغتال فيه زوجته بلقيس بواسطة رصاصة سيُطلقها عليها قناص مجهول.

ولأن هاشم كان يعلم الموعد والمكان والطريقة التي سوف تُغتال بها زوجته فقد قام بمساعدة زميلته (راما) بإلقاء القبض على ذلك القناص المجهول قبل أن يُطلق الرصاصة، وأخذه إلى مخزن منزله للتحقيق معه.

يذكر هاشم أن القناص رفض التعاون معه في البداية.. رفض أن يُخبره الأسباب أو الجهة التي استأجرته لتنفيذ عملية الاغتيال؛ مما دفعه لأن يعقد معه هذه الصفقة:

- أعدك بأن أوفر لك محاكمة عادلة يا (آسر) وأن أذكر للسلطان تعاونك معي لغرض تخفيف الحكم عليك.

بدا القناص (آسر) حينها راضيًا عن تلك الصفقة فقال:

- خذني إلى مركز الشرطة، وهناك سأخبرك عن افروديت وعن المنظمة التي تقف خلف عملية الاغتيال.

- لماذا الشرطة؟

- لأنهم الوحيدون القادرون على حمايتي منهم، أنصحك يا هاشم أن تعجل

بأخذي إلى أقرب قسم للشرطة؛ لأنك لا تتخيَّل السرعة التي قد يصل بها أولئك الأشخاص لنا حالما يصلهم الخبر.

عندما غادر هاشم المخزن وجد (راما) عند الباب وكانت قد استمعت

[1] في الجزء الأول: يكتشف مركز الأبحاث السري التابع للهيئة السعودية للقضاء وجود ظاهرة كونية تقترب من سماء السعودية، فيتم تكليف هاشم للصعود إلى الأعلى من أجل التقاط الصور وجلب العينات للدراسة ولكنه يُجرف عن طريق الخطأ إلى داخل تلك الظاهرة الكونية -الأرسس- ليجد نفسه وقد استيقظ في الماضي.

إلى المحادثة التي دارت بينه وبين القناص في الداخل؛ فقالت تعبر عن مخاوفها:

- هناك لا يبعث على الاطمئنان، قلبي يخبرني أن هناك شيئًا فضيعًا سيحدث في قادم الوقت.. إن القناص يتحدث عن منظمة خطيرة قد تهاجمنا في أي لحظة لتقتله وتقتل الحقيقة معه؛ لذلك يجب أن تتحرَّك بسرعة ودون تأخير.

قال هاشم يوافقها الرأي:

- هذا ما سيحدث.. ولكن قبل ذلك عليَّ أن أصعد إلى غرفتي لأصطحب معي بعض الأوراق الثبوتية التي ستجعلنا نتحرك بطريقة أسهل في أروقة مركز الأمن.

- وزوجتك بلقيس؟!

- ماذا عنها؟!

- هل ستدعها هنا، أم أنك سوف تصحبها معنا؟!

- في الحالات الطبيعية لم أكن لأفكر بأن أُشركها في أمر مشابه.. ولكن في هذه الحالة أعتقد أنني لن أطمئن عليها إلا إذا كانت قريبة مني؛ فأستطيع حمايتها عند الخطر.

قال هاشم ذلك ثم طلب من راما أن تنتظره داخل المخزن لتُبقي عينيها على القناص ريثما ينتهي هو من جلب الأوراق الثبوتية ثم يصطحب معه زوجته بلقيس ويذهبون جميعًا إلى الشرطة.

يذكر هاشم الآن -وهو مُكبَّل بالأصفاد فوق السرير- أنه صعد إلى الطابق الثاني من منزله وقد ذهب أوَّلًا ليتفقَّد زوجته فوجدها نائمة فوق سريرها.

فقرَّرَ في نفسه أن يأخذ الأوراق أوَّلًا ثم يعود ليوقظها.

**

فتح هاشم باب خزانته السريَّة التي يستودع فيها الأوراق والمستندات المهمة، وكان هذا آخر ما يتذكَّره قبل أن يفقد وعيه ثم يفيق بعد ثلاثة أيام ليجد نفسه

مُمدَّدًا فوق سرير المشفى.

وبينما هو غارق الآن بين ذكرياته إذ فُتح باب الغرفة مجدَّدًا.. لم يكن الشخص القادم هذه المرة هي الممرضة.. بل كان رجلًا ما يرتدي زيًّا مدنيًّا ويُمسك حقيبة صغيرة.

لقد بدا ذلك الرجل عادي المظهر،

إلا أن خطواته البطيئة المُرتابة وملامح وجهه القاسية التي بدت وكأنها نُحتت بواسطة آلة حادة.. وتلك النظرات المتشككة التي كان يطالع بها ما حوله..

كل تلك التفاصيل الصغيرة،

جعلت هاشم يُدرك حقيقة ذلك الرجل:

" إنه بلا شك ضابط تحقيق "

2

كان أول شيء يقوم به ذلك الرجل بعد أن دخل الغرفة هو القيام بتحرير يد هاشم من الصفد الحديدي الذي يُثبتها نحو السرير ويقول له بلطف غريب:

- هل يدك بخير؟

دون أن يتكلم أوْمَأَ هاشم له بعلامة "نعم"

غادر الرجل الغرفة لبعض الوقت وحين عاد كان يُمسك في يده كوبًا ورقيًّا تتصاعد منه رائحة القهوة.. قال مُبتسِمًا وهو يضعه بالقرب من هاشم:

- القهوة هي النسخة المحسنة للعناق الدافئ.

ثم سحب كرسِيًّا وجلس عليه.

لاحظ هاشم أنه تعمَّدَ الجلوس بعيدًا عنه بعض الشيء، وقد أدرك السبب وراء ذلك؛ فهو يريد الحصول على زاوية نظر واسعة تجعله يستطيع قراءة لغة جسده بشكل واضح.

قال يُعرِّف عن نفسه:

- نايف الأوسي؛ الضابط المسؤول عن التحقيق معك.

التزم هاشم الصمت وأخذ ينتظر سماع التهمة الموجَّهة إليه ولكن الضابط قال شيئًا غير متوقع:

- هل سمعت عن نكتة الرجل الذي كان مُختصِمًا مع زوجته؟

ورغم أنه لم يكن في مزاج مناسب لسماع الطرائف إلا أنه قرَّرَ مجاراة الضابط في اللعبة:

- أتمنى أن تكون نُكتة جيدة.

- كان هنالك رجل مُختصم مع زوجته وقد مرَّا ذات يوم بمحاذاة حديقة للحيوانات فسألها قائلًا:

«تُرى هل بينك وبين سكان هذه الحديقة صلة قرابة؟!».

قالت: «نعم؛ إنهم أهل زوجي».

ابتسم هاشم، ولكن ليس بسبب النكتة، بل لأنه كان يُدرك المغزى من كل ما يحدث حوله؛ فالضابط نايف كان يتبنى أحد أشهر الأساليب العالمية المستخدمة داخل غرف التحقيق:

حيث يحاول ضابط التحقيق بهذا الأسلوب التَّقرُّب من المتهم وإيهامه بالصداقة والتعاطف؛ حتى يكسب ثقته فيسهل عليه أخذ المعلومات التي يريدها منه.. وهذا السبب هو ما جعل الضابط (نايف) يقوم بتحرير يد هاشم من الصفد الحديدي بذلك اللطف المستغرب، ثم يُحضر له كوب القهوة ويُلقي أمامه تلك النكتة.

ورغم أن الوضع بأكمله كان يدعو إلى القلق إلا أن هاشم كان يُحسن إدارة أعصابه بشكل جيِّد فيبدو كما لو أنه لا يكترث بما يحدث من حوله.

أمسك كوب القهوة الورقي بيده، قرَّبه من شفتيه وأخذ منه بضع رشفات قبل أن ينعطف إلى صلب الموضوع قائلًا:

- هل أستطيع معرفة التهمة الموجَّهة إليَّ يا حضرة الضابط؟!

مدَّ الضابط إليه ظرفًا أسود وقال:

- انظر بنفسك.

ما إن شاهد هاشم ما بداخل الظرف حتى أفلت الكوب الورقي من يده، ورغم أن بعض القهوة الساخنة كانت قد انسكبت على جسده إلا أنه لم يشعر بالحرارة وظلَّ ينظر برعب وعدم تصديق إلى تلك الصور التي كان يُمسكها.

3

لقد شاهد صورة جثة مقتولة بطلق ناري،

كان الوجه -وجه الجثة- مُلطَّخًا بالدماء ورغم ذلك استطاع هاشم التعرُّف على الضحية:

"إنه القناص (آسر) الذي كان قد قبض عليه هو وراما، وقاما بالتحقيق معه في مخزن الفيلا "

قال الضابط نايف وقد اكتست ملامحه بالجدية: لقد عثرنا على هذه الجثة ملقاة في مخزن منزلك ؛ ولدينا ما يكفي من الأسباب التي تجعلنا نعتقد أنك القاتل.

استعاد هاشم توازنه بعد لحظات، ثم قال ساخرًا وهو يُعيد الثورة إلى المحقق:

- ظننت أن اسمك نايف، لم أكن أعرف أنك كونان المتحري الذكي.

متجاهلًا ذلك التعليق الساخر قال الضابط:

- طوال الثلاثة الأيام الماضية كنا ننتظر إفاقتك من الغيبوبة لنسمع أقوالك حول المسألة، وقد أكَّدَ الفريق الطبي المسؤول عنك أنك مستعد ذهنيًّا للخضوع إلى التحقيق.

هاشم لا يستطيع بالطبع أن يُخبره بقصة صعوده إلى الفضاء وعبوره الأرسس؛ فمثل تلك المعلومات تُعد بمثابة أسرار أمن دولة؛ وهو كضابط مخابرات عليه ألَّا يُشاركها إلا مع رؤسائه الذين يعلمون بمهمة صعوده إلى الفضاء:

- أريد التحدث إلى مرجعي العسكري من فضلك.

قال الضابط وقد خمَّنَ سبب ذلك الطلب: أتفهَّم ذلك يا سيد هاشم؛ فالأفراد الذين ينتمون إلى القطاع العسكري عادةً ما يتم التحقيق معهم من قِبَل مراجعهم العسكرية؛ ولكن قضيتم أكبر من ذلك بكثير وقد كلَّفني النائب العام شخصيًّا بالتحقيق فيها.

التزم هاشم الصمت

وقد بدا أنه لن يتجاوب في التحقيق؛ الأمر الذي دفع الضابط أن يُقرِّر استخدام ورقته الأقوى.

فنهض من مكانه، واتَّجه إلى التلفاز الذي كان مُثبَّتًا على حائط غرفة المشفى وقام بتشغيله؛ وما إن فعل ذلك ورأى هاشم ما يُعرض على الشاشة، حتى بانت على ملامحه دهشة كبيرة؛ وأدرك خطورة الموقف الذي وجد نفسه فيه.

عاد ضابط التحقيق إلى مكانه وقال بنبرة واثقة:

- أعتقد أن ما تراه الآن سوف يجعلك تتكلم.

**

كانت محطة الأخبار -الظاهرة على شاشة التلفاز- تنقل وتناقش خبر الجريمة المُروِّعة التي اقترفها رجل سعودي بحق رجل مقيم في مخزن منزله.

قام الضابط نايف مستخدمًا ريموت التلفاز بتحويل التردُّد إلى قنوات أخبار عربية وعالمية متنوعة وكانت جميعها تتناول الموضوع ذاته..

وهذا ما جعل هاشم يُدرك الحقيقة الصادمة:

لقد استحال الأمر إلى قضية (رأي عام)..

لا يتم تداولها ضمن حدود السعودية فحسب، بل حول العالم أجمع وهذا ما جعل النائب العام يقوم بتكليف الضابط نايف الأوسي للقيام بالتحقيق العاجل في القضية.

بدا وجه هاشم تلك اللحظة ذابلًا مثل مكعب ثلج يذوب فوق صفيح ساخن، فليس من السهل أبدًا أن يفيق المرء من غيبوبة استمرت لمدة ثلاثة أيام ليجد عالمه وقد قُلب رأسًا على عقب بذلك الشكل المرعب.

ولما طال صمته أكثر مما يحتمله الموقف، قال الضابط:

- لقد قتلت رجلًا دبلوماسيًّا يحظى باهتمام عالمي كبير؛ محطات الأخبار اليوم ليس لها حديث إلا عن هذه القضية؛ لذلك يجب أن تدرك حجم الحرج الشديد الذي أوقعت بلادنا به.

- لم أقتله!!

- وما الذي تفعله جثته عندك إذًا؛ أجاءت لتتفسح بمنزلك؟!!

- هنالك أسرار استخباراتية لا ينبغي لك الاطلاع عليها.

- لا تهمني أسرارك. تهمني الحقيقة فقط!!!

- لقد أخبرتني الممرضة أنكم عثرتم عليَّ فاقدًا للوعي؛ فكيف سأقتل ذلك الرجل في المخزن ثم يجدني رجال الشرطة فاقدًا للوعي داخل منزلي؟

قال الضابط مُسقِطًا تلك الحجة:

- مع احترامي لك.. إلا أن هذا لا يُعَدُّ دَلِيلًا لبراءتك؛ فربما كان لك شريك في الجريمة وقد سدَّدَ لك ضربة أفقدتك الوعي بعد أن اختلفتما حول مسألة معينة أو ما شابه.

قال هاشم وقد انتبه لأمر ما:

- إن وجود الجثة في مخزن منزلي يُعطيك الحق في الشك بأنني

القاتل ولكنه لا يُعد دَلِيلًا قاطعًا.. فلماذا أنت مُتأكِّد إلى هذا الحد من أنني الفاعل؟!

- هنالك أدلّة ننتظر تأكيدها من قبل المعمل الجنائي.

- ولماذا يتم اتهامي قبل ظهور نتائج الأدلة؟!

- لأن لدينا شاهدًا رآك وأنت تقتل.

" لحظة!!!"

لم يكن ثمة أحد في المنزل تلك الليلة..

لم يكن هناك غير هاشم وزميلته (راما) وزوجته (بلقيس). تُرى من يكون الشاهد الذي يقصده الضابط؟!

- من هو الشاهد؟!

الضابط بنبرة حازمة:

- لا أستطيع أن أخبرك؛ فنظام حماية الشهود[1] يمنعني من الإفصاح عن الشاهد.

هزَّ هاشم رأسه متفهِّمًا وقد أدرك أن الضابط لن يُخبره عن هوية الشاهد.

قال يستأذن:

- هل أستطيع الذهاب إلى دورة المياه؟

كانت هنالك دورة مياه صغيرة -داخل غرفة المشفى- أشار الضابط إليها وقال:

- لا بأس، سأنتظرك هنا ريثما تنتهي.

نهض من فوق السرير بصعوبة؛ فالمدة التي قضاها مُمدَّدًا فوق السرير قد تسبَّبت بوهن عضلات جسده وهذا ما جعله بالكاد يسير خطوتين إلى الأمام قبل أن يسقط مكانه أرضًا.

---

[1] نظام حماية الشهود هو بروتوكول أمني حكومي يعمل على حماية الأشخاص الذين يقدمون شهادات ضد أفراد أو جماعات خطيرة ومقابل ذلك يتم توفير الحماية لهم عن طريق إما إخفاء هوياتهم أو تغيير أماكن إقامتهم، أو تخصيص حراسات خاصة لهم أو أي إجراء أمني يضمن سلامتهم وعدم تعرضهم للخطر.

مدَّ الضابط إليه يده، فاستند عليها هاشم وجلس على حافة السرير، كان وجهه يعكس مدى الألم العميق الذي يعانيه، ما دفع الضابط ليقترح عليه:

- هل تريد مني أن استدعي لك الممرضة؟!

بنبرة صوت ساخرة تساءل هاشم:

- هل تفضل مساعدتي داخل دورة المياه يا حضرة الضابط؟!

- لا؛ فهذه أيضًا أسرار استخباراتية لا ينبغي أن أطلع عليها.

- استدعِ الممرضة إذًا.

تركه الضابط هناك وذهب ليستدعي الممرضة المسؤولة عن حالته الصحية، دون أن ينتبه إلى القلم -والشيء الآخر- الذي كان هاشم قد سرقهما منه بخفة عالية.

عاد الضابط التحقيق نايف الأوسي بعد قليل برفقة الممرضة وعندما فتح باب الغرفة كانت المفاجئة:

(هاشم ليس في الغرفة!!)

4

لقد هرب بعد أن ترك له رسالة ساخرة كتبها على لحاف السرير الأبيض بواسطة القلم الذي سرقه منه قبل قليل:

" لا أحب لحظات الوداع؛ لذلك غادرت دون أن أودعك.
بالمناسبة.. هل تريد أن ترى شيئـًا مُضحِكًـا؟!
ارفع رأسك، وانظر إلى منتصف حائط الغرفة الأيسر"

رفع الضابط نايف رأسه ونظر إلى هناك فشاهد انعكاس صورة وجهه على مرآة الغرفة.. أحس بالإهانة والغضب الشديدين؛ فغادر الغرفة.. مثل إعصار هائج.. وراح يركض كالمجنون في أروِقة المشفى وهو يُخرِج جهاز الإرسال الخاص به ويُعطي الأمر لوحدات الشرطة التي تحيط بالمشفى:

- لقد هرب المتهم، فتشوا عنه حالًا!!!

وأضاف الضابط وهو يصرخ عبر جهاز الإرسال قائلًا:

- حالته الصحية غير جيِّدة؛ لذلك أستبعد أن تكون قدماه قادرتين على حمله لمسافة طويلة، فتشوا عنه حول نطاق المشفى!!

لم يمضي كثير من الوقت بعد ذلك حتى تلقى الضابط نايف إشعارًا عبر جهاز الإرسال يقول:

- ما نوع وقود سيارتك يا حظرة الضابط؟!

وما إن سمع الضابط ذلك الصوت حتى صُعق!!

لقد كان المتحدث هاشم.

**

راح الضابط نايف -بطريقة لا شعورية- يفتش في جيوب ملابسه عن مفاتيح سيارته؛ ليكتشف أن هاشم قد سرقها منه مثلما كان قد سرق منه قلمه.

قال هاشم بنبرة صوت غير مبالية:

- هل تريد أن تستمع إلى نكتة يا حضرة الضابط؟

- لستُ في مزاج مناسب.

- حسنًا؛ سأقولها طالما أنك تصر، اسمع:

قرَّرَ أحدهم أن يفتتح مركزًا للمجانين.. وفكر أن يضع كل الذين يقولون (نعم) في الطابق الأول.. أما الطابق الثاني فقد خصصه لكل المجانين الذين يقولون (لا).. هل سبق لك وأن سمعت هذه النكتة من قبل؟!

الضابط: (لا)

ابتسم هاشم من خلف جهاز الإرسال ساخرًا وقال:

- مبروك، سيتم وضعك في الطابق الثاني من المركز.

كان هنالك شيء مُحيِّر بالنسبة إلى الضابط؛ فهو لم يبتعد كثيرًا عن غرفة المشفى عندما ذهب ليستدعي الممرضة فكيف له ألَّا ينتبه لهاشم عندما

هرب:

- كيف هربت؟

- لو أنك نظرت تحت السرير حينها: لكنت وجدتني.

دهش الضابط حين سمع تلك المعلومة ولام نفسه كثيرًا على قِلَّة

انتباهه.

قال هاشم يُفسر الحيلة النفسية التي اتبعها في تنفيذ خطته:

- إن الغضب يُحفز عند الكائن الحي بعض الهرمونات التي تؤثر سلبًا على اتِّخاذه للقرارات الصحيحة يا حضرة الضابط.. لذلك كان عليَّ فقط أن أستفزك بكتابة رسالة أسخر فيها منك ثم أدع غضبك يساعدني على إتمام الخطة.

كان الضابط نايف منبهرًا بذكاء هاشم؛ لقد سمع الكثير عن ذلك الشبح، ولكنه لم يعتقد أبدًا أنه سوف يكون على ذلك القدر من الدهاء والحنكة.. واصل هاشم يخبره بتفاصيل الخطة:

- بعد خروجك غاضبًا من الغرفة.. هبطتُ إلى مواقف المشفى، لحسن الحظ كان مفتاح سيارتك مُزوَّدًا بلاقط تحكم.. كل ما كان عليَّ أن أفعله هو أن أضغط على فتح الأبواب ثم أنظر إلى السيارة التي ستومض أنوارها لأعرف أنها سيارتك.

صعد هاشم حينها إلى السيارة.. وانتظر فيها قليلًا حتى سمع صوت الضابط -من خلال جهاز الإرسال الأمني المُثبَّت في السيارة- وهو يأمر الوحدات الأمنية قائلًا:

(فتشوا عنه حول نطاق المشفى!!)

وعندما تأكَّدَ له أن وحدات الشرطة التي تُطوِّق المشفى قد غادرت مواقعها،

شغَّل مُحرِّك السيارة وابتعد من هناك:

- ما رأيك بالخطة؟

- جيِّدة -تمتم الضابط- ولكنني سأجعلك تندم عليها.

**

كان هاشم قد تلقَّى نوعًا مُحدَّدًا من التدريبات العسكرية المخصصة جعلته يملك ما يُعرف بـ (قدرة التنبؤ الفائق) وهي قدرة قديمة عرفها الإنسان تُتيح لصاحبها التنبؤ بما سيحدث في المستقبل.

وهذا ما جعله يكتشف المناورة التي كان يُخطط لها ضابط التحقيق في تلك اللحظة: إنه ينوي تقديم بلاغ رسمي عبر رسالة يُرسلها إلى مركز الأمن بواسطة هاتفه النقال يذكر فيها أوصاف السيارة؛ ليترك لرجال المباحث والشرطة مهمة إلقاء القبض على هاشم.

ولكنه قبل أن يضغط زر الإرسال قال هاشم يذكره بشيء ما:

- سيصل هذا الخبر سريعًا لمحطات الأخبار؛ وغدًا ستجد صورتك على جميع القنوات، سيقول الجميع عنك بأنك الضابط الأحمق الذي سمح للمتهم بسرقة سيارته.

تراجع الضابط عن تقديم البلاغ ولم يَعُد أمامه إلا أن يلعب بالورقة الأخيرة؛ إنه يُدرك أن هاشم لم يهرب من هناك إلا من أجل أمر واحد، فقال يساومه عليه:

- سلِّم نفسك، وسأكشف لك عن هوية الشاهد.

5

تحرَّكت السيارة نحو سجن العاصمة، كان هاشم يجلس في المقعد الخلفي للسيارة مُقيَّدًا بالسلاسل والأصفاد، لقد أخبره الضابط أن زوجته بلقيس هي الشاهدة؛ وكانت هذه الحقيقة كفيلة بأن تضرم النار في صدره.

لقد تعلَّمَ خلال سنوات خدمته كضابط مخابرات أن كل شيء قابل للحدوث وأن المستحيل كلمة لا توجد في معجم الحياة، ورغم ذلك، إلا أنه لا يستطيع أن يصدق بأن بلقيس قد تشهد ضده بشيء لم يحدث على الإطلاق.

**

ما إن وصل هاشم إلى السجن حتى وجد في انتظاره عند البوابة عددًا من الجنود الذين اصطحبوه عبر الممرات الموغلة في الكآبة واقتادوه إلى مكان ما.

كان يعتقد أنهم سيأخذونه إلى عنبر السجن،

ولكنهم بدلًا عن ذلك -ولسبب يجهله- أخذوه إلى مكتب خاص.

فتح الجندي له الباب بعد أن قام بتحرير يديه وقدميه من القيود الحديدية ثم قال وهو يومئ له بالدخول:

- سوف نعود لأخذك يعد أن تنتهي.

حالة من الدهشة أصابت هاشم حين دخل المكتب، وشاهد الشخص

الذي كان ينتظره هناك.

6

وسيم مُحسن الجبالي، كان هذا هو الصديق الذي رآه هاشم.

ومع أن العرب قديمًا قالت بأن لكل امرئ من اسمه نصيب، إلا أن ذلك الشخص -وسيم- لم يكن له من اسمه نصيب أبدًا فهو قبيح الوجه، قصير القامة، منتفخ البطن، لديه صلعة ملساء تتمركز في منتصف رأسه يحفها من الجوانب شعر مجعد كأنه شعر الصدر.

لم يتعجب هاشم من رؤية وسيم أمامه؛ فقد كان لذلك الرجل نفوذ عالٍ بحكم طبيعة عمله كمحامٍ خاص وصاحب أحد أكبر مكاتب المحاماة التي يلجأ إليها الكثير من الجهات والشركات الكبرى والحساسة في المنطقة.

تنهَّدَ هاشم وقد ارتسمت على وجهه ملامح الضيقة.

لم يكن وسيم هو سبب ضيقته، بل لأنه لم يكن يريد لأحد من معارفه أن يراه وهو بتلك الحالة الكسيرة، فليس هنالك ما هو أقسى على قلب الرجل من أن ينظر إليه أحد بعين الشفقة.

في الجهة المقابلة: كان وسيم يُدرك بذكائه الاجتماعي تلك النقطة جيِّدًا؛ وهذا ما جعله يفتتح كلامه برواية قصة حدثت له قبل أيام؛ وكأنه بذلك كان يريد أن يُزيل حاجز الحرج عن صديقه:

- استوقفتني امرأة جميلة قبل عِدَّة أيام يا هاشم.. طلبت مني أن تلتقط لي صورة عبر هاتفها المحمول.. وبعد أن انتهت من أخذ الصورة سألتها عن السبب. فتخيَّل ماذا كان ردها؟

لم يتفاعل هاشم معه، ولكن وسيم أكمل:

- قالت بأنها قد قصت لابنتها عن إحدى الشخصيات الدينية، وحين قامت ابنتها بسؤالها عن مواصفات تلك الشخصية لم تعرف الأم كيف تجيبها.

هنا سأله هاشم بدافع الفضول: ومن يكون تلك الشخصية التي تشبهها إلى حد أن تستوقفك امرأة غريبة في الشارع وتطلب منك أن تلتقط لك صورة؟!

- الأعور الدجال.

ابتسم هاشم على الرغم منه.

**

كان مكتب المدير العام للسجن مُزينًا بمجموعة من التحف اليدوية الصنع.

وبصفته -بصفة وسيم- محاميًا يتردَّد بكثرة إلى ذلك المكان لمقابلة الشخصيات المهمة التي تقوم بتوكيله للدفاع عنها أمام القضاء، فقد كان يتصرَّف هناك كما لو أنه في مكتبه الخاص؛ فنهض من مكانه واتَّجه نحو الزاوية حيث ركن صغير لتحضير الشاي.. وبينما هو كذلك إذ جاءه الصوت المتسائل من الخلف يقول:

- لماذا جئت يا وسيم؟

دون أن يلتفت إليه أجاب المحامي وسيم وهو يضع بعض الماء في جهاز التسخين السريع ويضغط زر البدء:

- جئت لكي أنقذ عنقك من حد السيف يا صديقي.

لحظات بعد ذلك ثم أصدر جهاز التسخين صوتًا يؤذن فيه بانتهاء مهمته.. سكب وسيم الماء المغلي في كوبين من الورق بعد أن كان قد وضع فيهما السكر وفتلة الشاي ونثر فوقهما بعض أوراق النعناع الطازجة وعاد ليجلس أمام هاشم.

قال وهو يمدُّ الكوب نحوه:

- هنالك مثل ألماني يقول اثنان لا تكذب عيلهما أبدًا: الطبيب والمحامي.. فالطبيب سوف يكتب وصفته الطبية بناءً على تعبيرك، والمحامي سوف يبني مرافعته استنادًا على كلامك.

أخذ هاشم رشفة طويلة من كوب الشاي،

ولو كان يعرف ما هو آتٍ، لما طاوعته نفسه على أخذ تلك الرشفة.

7

قال وسيم:

- غداً في المحكمة ستقول بأنك القاتل.

- أتعلم؟!!.. ما إن رأيتُ وجهك هذا حتى أدركتُ أن نهايتي اقتربت.

- اعترافك بالجريمة في قاعة المحكمة وإبداؤك الندم الشديد على ارتكابها وعزمك الصادق على التوبة قد يدفعان بالقاضي إلى تخفيف الحكم عنك.

لم يحتمل هاشم ذلك الإصرار المُجحف بحقه من قِبَل الشخص الذي يُفترض فيه أن يكون محاميه؛ فقام لفرط غضبه وأمسك به من ياقة ثوبه وصاح بوجهه قائلًا:

- كيف سيقتنع القاضي ببراءتي؛ إن كان المحامي الخاص بي لا يريد أن يصدق أنني بريء؟!!

بملامح وجه خائفة قال وسيم:

- عندما وصلني الخبر، تركتُ كل شيء وجئت لأقف معك.

جعلته تلك الكلمات -جعلت هاشم- يستوعب فداحة خطئه؛ لقد جاءه ذلك الصديق بالفعل بعد أن تخلى عنه الجميع.. فأبعد يديه عنه وقد أحس بتأنيب الضمير.

تراجع خطوتين إلى الوراء وجلس فوق الكنبة، اقترب منه وسيم وهو يمدُّ إليه الكوب الذي ما زالت تتصاعد منه رائحة الشاي الممزوج بالنعناع

وقال:

- خذ اشرب، سوف يساعدك هذا في أن تهدأ.

لم يكن هاشم في مزاج يسمح له بتناول شيء ولكنه فعل ذلك كنوع من الاعتذار إليه. وتمتم قائلًا:

- آسف.

كانت صداقتهما قديمة؛ وهذا ما جعل وسيم يتقبَّل منه أي خطأ:

- لا بأس يجوز للصديق ما لا يجوز لغيره.

**

امتدت بينهما لحظات قليلة من الصمت، قال بعدها وسيم شيئًا لم يخطر ببال هاشم أن يفكر فيه:

- ألا يوجد ثمة احتمال بسيط أن تكون قد أصبت باضطراب عقلي جعلك تفقد إدراكك بالأشياء من حولك، فتكون قد أقدمت على جريمة القتل ونسيت أنك فعلتها؟

لحظة!!!

هاشم يُدرك أن هناك أمراضًا نفسية كثيرة مثل الفصام البارانوي[1] والصرع، وغيرهما من الأمراض التي قد تجعل الإنسان يقتل بلا شعور منه أو إدراك.

راحت أفكار غريبة من ذلك النوع تهاجمه بطريقة غامضة ومكثفة حتى بدأت تُزعزع مناطق الإيمان في داخله وتؤثر فيه بطريقة مريبة: هل يكون صعوده إلى الفضاء وعبوره الآرسس قد تسبَّبا له باضطراب مُعيَّن في رأسه جعله يرتكب تلك الجريمة وينسى أنه قد فعلها؟!.. أيكون هو القاتل

[1] أحد أنواع مرض انفصام الشخصية اضطراب عقلي مزمن يفقد فيه الشخص المريض العلاقة مع الواقع.

بالفعل؟!!

قال وسيم - ربما دون قصد - مُعزِّزًا تلك الأفكار التي تدور بذهنه:

- لقد حدثت الجريمة في منزلك يا هاشم، وقالت زوجتك بلقيس إنها شاهدتك بعينيها وأنت تقتل الرجل.. الجواب الوحيد لهذا اللغز هو أنك القاتل.

حرَّكَ هاشم رأسه يمينًا وشمالًا كما لو أنه ينفض تلك الأفكار عن عقله ثم أمسك ورقة وكتب عليها شيئًا، حتى إذا انتهى من الكتابة مدَّ الورقة نحو وسيم وقال:

- اذهب إلى هذه الشقة السكنية.

نظر وسيم إلى الورقة التي كتبها له هاشم، وقرأ فيها عنوانًا لعمارة سكنية توجد بحي غرناطة.. قريبة من المركز التجاري الشهير الذي يحمل اسم الحي ذاته:

- وماذا سأجد في هذه الشقة السكنية؟

- ستفتح لك الباب فتاة اسمها راما.

- ومن تكون هذه؟

- إنها دليل براءتي.

هَمَّ المحامي بالمغادرة والتوجُّه نحو العنوان، بينما قال هاشم:

- شكرًا لك يا وسيم، عندما ينتهي كل شيء، سآخذك إلى طبيب يصلح لك وجهك.

- حقًّا؟!!

- نعم، إنه أفضل طبيب بيطري في المنطقة كلها.

8

قاعة المحكمة العليا

" المحاكمة "

عند العاشرة صباحًا وصلت سيارة نقل المساجين إلى قاعة المحكمة العليا في العاصمة.. فُتِح الباب الخلفي لها فهبط هاشم يُرافقه حارسا شرطة، واحدٌ عن يمينه وآخر عن شماله.

كان يجد صعوبة في السير نحو البوابة بسبب الصحافة ومراسلي قنوات الأخبار الذين جاؤوا لتغطية ونقل الحدث عالميًّا؛ مما اضطر وحدة نقل المساجين لأن تستخدم الأجهزة المكبرة في إعطاء الأمر بفسح المجال للسجين بالعبور.

داخل المحكمة: نزعوا عنه الأصفاد الحديدية بعد أن وضعوه في غرفة ذات أثاث بسيط وأخبروه أنه سينتظر هناك لبعض الوقت ريثما يحين موعد وقوفه أمام القاضي.

مرَّت بضع لحظات يسيرة قبل أن يصل المحامي وسيم ويستقبله هاشم بهذا السؤال:

- هل ذهبت إلى العنوان الذي أعطيته لك؟!

- نعم؛ وقد وافقت راما على القدوم إلى المحكمة والشهادة لمصلحتك..

سوف تكون هذه ضربة جيِّدة لكتيبة الحمير ذات المعاطف السوداء.

- الحمير ذات المعاطف السوداء؟

- لقد تدخلت بعض منظمات حقوق الإنسان العالمية على الخط وعيَّنت كتيبة من المحامين لضمان إنزال أشد العقوبات عليك، وقد أطلقتُ عليهم هذا اللقب: الحمير ذات المعاطف السوداء.

لم يكن مطمئنًّا لكل ما يحدث؛ كان يشعر بأن الأمور لن تسير على ما يرام، إن إحساسًا غامضًا يخبره بأنه لن ينجو مما هو قادم، فأغمض عينيه ودارت به الدنيا..

وحين أحسَّ بشديد الخوف قال كمن يبحث عن أمانه:

- أين أختي؟

- ستراها بعد قليل داخل القاعة؟

كان خبر وجود أخته بالقرب منه كفيلًا بأن يمده بالثقة التي يحتاجها للوقوف صامدًا حتى نهاية المعركة، قطع عليهما تلك اللحظة صوت المنادي وهو يقول:

- هاشم ابن عبدالعزيز؛ لقد حان وقت وقوفك أمام القاضي.



لكثرة المحامين الذين عينتهم منظمات حقوق الإنسان العالمية للدفاع عن حق القتيل، قام القاضي -رئيس الجلسة- بتوجيههم إلى اختيار محامٍ واحد فقط ليقوم بالترافع عن بقية زملائه؛ فاختاروا من بينهم محامية اسمها (كارمن تليد) لتنوب عنهم في الدفاع: وهي محامية ذائعة الصيت.. ذات أصول أجنبية لها باع طويل في مهنة المحاماة تتحدث اللغة العربية بفصاحة وطلاقة تجعلانها تبدو وكأنها عربية الأصل.

وأثناء كل ذلك التوتر الشديد الذي يجري داخل القاعة، كان هاشم يلتفت إلى الخلف يفتش عن زوجته بلقيس بين الحضور لكنه لا يجدها، ورغم ذلك إلا أن قلبه كان يرتاح أيضًا عندما تتصافح نظراته في الهواء مع نظرات أخته.

التفت القاضي نحو المحامية المختارة وقال:

- ابدئي مرافعتكِ..

كانت أمائر القلق تبدو واضحة على ملامح وسيم؛

كان يعرف تلك المحامية، ويعرف ما يُمكن لها أن تفعله بمرافعتها.

9

مرافعة ممثل حق القتيل

" المحامية كارمن تليد "

العديد من محطات الأخبار العالمية كانت تبثُّ الجلسة، توجَّهت الكاميرا نحو المحامية كارمن والتي بدأت مرافعتها أمام القاضي بمقدمة غير تقليدية:

- إن الأرض تمتص أي سائل يُسكب عليها إلا الدم.

وأضافت تُبرز سبب عدم امتصاص الأرض للدم مُستندةً على بعض القصص والآثار القديمة:

- يُقال بأن أبونا آدم عليه السلام عندما ذهب يسأل عن ابنه هابيل، قالوا له بأن أخاه قد قتله؛ فسألهم قائلًا: (أين دماء ابني؟!).. فأخبروه بأن الأرض قد شربتها.. يُقال حينها بأن أبونا آدم قد تملكه غضب شديد وقال: (لعن الله أرضًا شربت من دم ابن آدم).. ومنذ ذلك الحين، حُرم على الأرض أن تشرب الدماء حتى تقوم القيامة.

كانت خطوات المحامية كارمن ونبرة صوتها وإيماءات يديها مدروسة بدقة عالية؛ حتى ليُخيل إلى من يراها أنها ممثلة بارعة تقدم عرضًا فوق خشبة المسرح:

- فـإذا صحت هذه القصة يـا سيادة القاضي فـإنها تـعني أن اللعن سوف

يكون هو جزاء كل من يُخفي أثر القتل أو يتهاون في إنزال العقوبة على القاتل.. وإننا اليوم لنقف أمام جريمة قتل بشعة كُل أدلتها تشير على هوية فاعلها.

ثم صمتت قليلًا:

ولكن ليس لأن حديثها قد انتهى،

بل لتضع نظارتها الطبية على أنفها وتبدأ مرافعتها الحقيقية، حيث أخرجت من حقيبتها ملفًا أسود بدا عليه طابع الملفات الرسمية وقالت بصوتٍ واثق:

- لقد أثبت تقرير معمل الأدلة الجنائية السعودي أن الرصاصة التي اخترقت قلب القتيل كانت قد خرجت من ماسورة مسدس هاشم الخاص يا سيادة القاضي، وعندما رُفعت البصمات من هيكل السلاح وجدوا آثار بصماته عليه.

قلبت المحامية الصفحة التالية وأضافت تقول:

- وقد جاء في تقرير المعمل أيضًا أنهم وجدوا آثار اعتداء بالضرب وعند معاينة الأنسجة المجهولة على الجثة اكتشفوا أنها أنسجة تعود إلى هاشم.

أغلقت المحامية كارمن ملف معمل الأدلة وقالت:

- إن وجود الجثة في مخزن المنزل.. وشهادة الزوجة بلقيس ضده بالإضافة إلى الأدلة التي أثبتها تقرير معمل الأدلة الجنائية السعودي، كل هذا يثبت بطريقة لا يرقى إليها الشك أن هذا الماثل أمامكم والمدعو هاشم ابن عبدالعزيز هو القاتل يا سيادة القاضي.

ثارت ضجة في القاعة؛ فقد استطاعت المحامية (كارمن) بمرافعتها المقنعة تلك أن تكسب تأييد أغلب الحضور بعد أن كان عدد قليل منهم

فقط يُصدق بأن هاشم هو المجرم الحقيقي.

طلب القاضي من الحضور التزام الصمت واحترام هيبة المحكمة؛ فصمت الجميع التزامًا بالأمر ثم التفت ونظر إلى المحامية ليسألها

بصوته الوقور:

- أهناك ما تودين إضافته؟.

رفعت النظارة عن وجهها في دلالة على اقتراب انتهاء مرافعتها ثم واصلت حديثها بصوتٍ هادئ ولكنه يحمل في طياته نبرة الحزن والثبات:

- سيادة القاضي، إنه استنادًا على الأدلة الآنفة الذكر والتي تُثبت تورُّط المتهم، وإنه من منطلق قول الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ..

فإننا نطلب من عدالتكم إنزال أشد أنواع العقوبات التي نص عليها القانون السعودي وألا تأخذكم بهذا المجرم ذرة رحمة أو شفقة!!

**

بعد انتهاء مرافعتها عادت كارمن إلى مقعدها، ثم لأنه تحدث أحيانًا بعض الحروب النفسية بين المحامين الخصوم فقد همس لها أحد زملائها مُتعمِّدًا خفض صوته حتى لا تصل كلماته إلى أذن القاضي:

- لو كنتُ قاضيًا لأمرت بإعدام المتهم مع محاميه بعد سماعي لمرافعتك هذه.

ندت عنه - عن وسيم - ابتسامة ساخرة وهو يسمع تلك الكلمات وقال يردُّ

عليه بذات النبرة المنخفضة وهو يستعد للنهوض إلى منصة الترافع:

- لحسن الحظ أنهم لا يسمحون للحمير بتولي مناصب القضاء

هذه الأيام.

---

[1] في الجزء الأول قام هاشم بضرب القناص قبل أن يتوصل معه إلى عقد الصفقة التي جعلته يوافق على الاعتراف، لذلك وجد معمل الأدلة الجنائية أثر أنسجة هاشم على الجثة.

10

مرافعة ممثل دفاع المتهم

" المحامي وسيم محسن الجبالي "

ما أن صعد وسيم على منصة الدفاع حتى قال يستأذن القاضي:

- لدى موكلي بعض التفاصيل التي يرغب في اطلاعكم عليها بنفسه.

سمح القاضي لهاشم بالحديث، فنهض هاشم من مكانه بينما الناس وكاميرات البث تترقب حديثه:

- لقد قبضتُ على ذلك الرجل -قال معترفًا- ولكنني لم أقتله.

هنا رفعت المحامية (كارمن) يدها وهي تقول:

- اعترض!!

كان القاضي يُدرِك جيِّدًا سبب اعتراضها؛ فطلب منها أن تخفض يدها ثم قال يُوجِّه هذه الملاحظة إلى هاشم: إن كلمة (القبض) كما تعلم تُستخدم في المهمات الرسمية فقط؛ فهل تلقيت أمرًا رسمِيًّا بالقبض على ذلك الرجل؟

- لا؛ لم أتلقَّ أمرًا من أحد.

- إذًا؛ ما قمت به يُسمى اختطاف، وليس إلقاء قبض.

حرَّكَ هاشم رأسه موافقًا؛ فطالما أنه لم يتلقَّ أمرًا رسمِيًّا، فإن القانون

سوف يعتبر ذلك اختطافًا.

- ما هو الدافع الذي جعلك تُقدم على عملية الخطف؟

- كي أمنعه من أذية شخص آخر؛ فذلك الرجل كان يُخطط لاغتيال زوجتي.

دبت الضجة في المحكمة بعد ذلك التصريح؛ مما اضطر القاضي لأن يستخدم صوت المطرقة عِدَّة مرات ليعيد إلى القاعة هدوءها ثم يوجه إليه سؤاله:

- وكيف عرفت أن ذلك الرجل كان ينوي اغتيال زوجتك؟

لن يُفصح عن الآرسس وقصة عودته بالزمن؛ ولكن هذه المرة ليس فقط لأجل المحافظة على سرية المهمة؛ بل لأنهم لن يصدقوا قصته تلك وسوف يعتبرونها كذبة سخيفة:

- لا أستطيع التصريح في الوقت الراهن.

- هل لديك طلبات أو معلومات أخرى تودُّ الإفصاح عنها؟

- نعم.. إنني أطلب من عدالتكم السماح للضابطة راما وليد الناسي بالدخول إلى القاعة والاستماع لشهادتها في براءتي من جريمة القتل المنسوبة ضدي.

11

الشاهدة راما وليد الناسي

" الحقيقة "

حالة من التوتر الشديد والقلق بانت على وجوه المحامين ذوي المعاطف السوداء وهم ينظرون إلى الشاهدة وهي تدخل من باب القاعة وتتجه نحو منصة الشهادة؛ فمهما كانت أدلتهم قوية إلا أن هنالك قاعدة أساسية في القضاء تقول: **"الحدود تُدرا بالشبهات"** وهذا يعني أن تلك الشاهدة (راما) تستطيع أن تثير بكلامها شبهة تجعل القاضي يعدل عن حكم القصاص بحق هاشم.

رفع المحامي وسيم صوته مُجلجلًا وهو يقول في قاعة المحكمة:

- قال أحد الحكماء ذات مرة: قُل الحق ولو على قطع عُنقك؛ فعندما تضع لجامًا في فمك وتصمت.. سيضع الناس سَرجًا على ظهرك ويمتطونك كما يمتطون دوابهم.

وأضاف يتحدث وهو يُقدم شاهدته راما للجميع:

- لقد أعطاني هاشم عنوانًا طلب مني الذهاب إليه.. قال بأنني سوف أجد هناك دليل براءته.. وحين ذهبت إلى العنوان المكتوب وجدت هذه الإنسانة الطيبة.. وما إن شرحت لها الموقف كاملًا حتى أبدت استعدادها
التام للحضور إلى المحكمة وقول الحقيقة التي رأتها بعينيها من أجل رفع

سيف الظلم عن عنق هذا المتهم البريء.

صمت الجميع وحُبست الأنفاس في انتظار سماع الحقيقة التي من شأنها أن تُغيِّر مسار القضية بأكملها، اتَّجهت الأنظار وكاميرات البث نحو راما التي كانت تقف وراء منصة الشهود:

القاضي وهو ينظر إليها:

- ضعي يدك اليمنى على المصحف وردِّدي ورائي.

وضعت راما يدها اليمنى على المصحف وأخذت تُردِّد وراء القاضي وهو يقول:

- أقسم بِاللَّهِ العظيم أن أقول الحق، كل الحق ولا شيء غير الحق.

وبعد انتهائها من ترديد القَسَم، سألها القاضي قائلًا:

- أخبرينا عما رأيتِه تلك الليلة يا راما.

قالت بصوتٍ ثابت:

- لقد رأيتُ هاشم يقتل ذلك الرجل يا سيادة القاضي.

12

كما لو أن أحدًا أخذ سكينًا وطعن به قلبه: هكذا أحس هاشم بعد أن استمع لتلك الشهادة.

طغى على القاعة صمتٌ مَهيبٌ كأنَّ الناس بحاجة لبعض الوقت كي يصدقوا ما استمعوا إليه؛ فالشاهدة التي كان من المفترض أن تكون دليل براءة هاشم أصبحت هي نفسها دليل إدانته.

عاد المحامي وسيم محسن الجبالي يجلس مكانه في إشارة واضحة للهزيمة التي تلقاها؛ فلم يعد ثمة ما يُمكن أن يُقال بعد استماعه لتلك الشهادة.

❃❃

تأخذ القضايا الجنائية -لا سيما قضايا القتل- شهورًا في قاعات المحكمة ريثما يصدر فيها القاضي حكمه.. ولكن بسبب الضغوطات الدولية حول هذه القضية بالذات؛ جاءت الأوامر العليا للبت فيها بأسرع وقت ممكن.

❃❃

النُّطق بالحكم

وبعد النظر في الأدلة والبراهين التي قدمها معمل الأدلة الجنائية السعودي، والاستماع إلى شهادة الشهود، وبعد انتهاء المداولة بين السادة القضاة..

قال القاضي رئيس الجلسة ناطقًا بالحكم النهائي:

- لقد حكمنا على هاشم ابن عبدالعزيز بالموت قصاصًا بحد السيف.

بحد السيف..

1

السجن العام

لم يطلب هاشم من محاميه الاعتراض على حكم القاضي؛ فبعد البراهين التي أكَّدها معمل الأدلة الجنائية، وبعد شهادة كلٍّ من زوجته بلقيس وزميلته راما اقتنع أخيرًا بأنه القاتل.

صحيح أنه لا يتذكَّر شيئًا؛ ولكنه عزا ذلك إلى عبوره الآرسس؛ إذ لا بُدَّ من أن عبوره من خلال تلك الظاهرة قد أصاب عقله بخلل ما جعله يُقدم على ارتكاب الجريمة وينسى أنه فعلها.

السجن عالم مظلم، لا أحد يستطيع تخيُّل مدى عمقه السحيق إلا من قُذف ليعيش خلف أسواره البشعة.. من يَلج ذلك العالم عليه أن يتأقلم سريعًا مع قانونه الوحيد حيث القوي يأكل الضعيف.

**

في أحد المساءات العادية فتح باب السجن، التفت مساجين العنبر نحو الداخل الجديد وأخذوا يتأملونه في صمت. بعضهم أشفق عليه والبعض الآخر أخذ يترقَّب بحماسة ما سيحدث بعد قليل.

وما هي إلا لحظات يسيرة بعد دخوله ومغادرة الحراس له حتى حدث ما كان سجناء العنبر يتوقعونه أن يحدث؛ حيث حاوطته عصبة من المساجين عددهم خمسة وقد كانوا أشبه من حيث البنية الجسدية بجماعة الأفيال الآدمية، سأله أحدهم قائلًا:

- ما اسمك؟

- هاشم.

وما إن نطق اسمه حتى تلقى لكمة قوية على قفصه الصدري دون سبب واضح..

سقط هاشم أرضًا بسبب مفاجأة الضربة بينما هم يواصلون ركله في أماكن متفرقة من جسده باستثناء الوجه حتى لا يتركوا عليه أثرًا يُدينهم عند إدارة السجن لاحقًا.. كان بوسعه أن يطلب النجدة ولكن الضربة التي تلقاها على قفصه الصدري كتمت أنفاسه؛ فلم يكن بوسعه أن يصدر حتى أنينًا ليُسمع.

حين انتهوا من ضربه تركوه مُمدَّدًا وغادروا؛ لقد كان ما فعلوه ذلك بمثابة رسالة يخبرون فيها السجين الجديد ويؤكدون فيها على بقية المساجين القدماء أنهم أسياد المكان بلا منازع.

**

نهض هاشم من فوق الأرض بعد أن خفَّت أوجاع جسده قليلًا واختار ركنًا قَصِيًّا في السجن يركن إليه حتى يحين موعد تنفيذ قصاصه، وبالرغم من وحدته المُكثفة وكل سرادق العزاء التي كانت تقام في صدره إلا أن رأسه ظلَّ عاليًا؛ مثل راية لا تُهان أو تُنكس.

كان يُسمح للمساجين -في أوقات محددة- بالذهاب إلى الباحة الخارجية من أجل المشي واستنشاق الهواء والتعرض لضوء الشمس، ولكن هاشم كان لا يُبارح ركنه أبدًا.

وذات صباح -وهو ماكث عند ذلك الركن- إذ شاهد أمرًا غريبًا: لقد شاهد جملة منقوشة على أرضية السجن.. جملة لا يذكر أنه قد رآها قبل هذه المرة.

هو يعلم أن حروف اللغة العربية قد نشأت أول الأمر خالية من النقاط، واستمرَّت على ذلك الحال دهرًا طويلًا من الزمان حتى أمر لاحقًا بتنقيطها.

كانت الجملة التي يراها هاشم على أرضية السجن الآن تخلو تمامًا من النقاط؛ كما لو أن الشخص الذي نقشها كان ينتمي إلى أحد العصور الغابرة:

"ادهب الى مكان معرول لا برانا فبه احد"

مدَّ يده إلى الجملة يتحسسها، العجيب في الأمر أن النقش كان دافئًا؛ وكأنه نُقش لتوه.

وبينما هو يتأمل ذلك النقش الذي يطلب فيه كاتبه منه الذهاب إلى مكان معزول لا يراهما فيه أحد، إذ سمع اسمه يتردَّد في مكبرات الصوت الداخلية للعنبر:

" المسجون رقم 92614..

هاشم ابن عبدالعزيز . . هناك زيارة من أجلك"

نهض هاشم من مكانه مُلبِّيًا النداء ولكنه قبل أن يبتعد من هناك نظر للمرة الأخيرة نحو ذلك النقش الغامض، فكانت المفاجأة غير المتوقعة بالنسبة إليه هي أن النقش قد اختفى وكأنه لم يكن هنالك قبل لحظات يسيرة.

2

صالة الزيارة

لقد تعهدت لنفسها بأن تبدو قوية أمامه حتى لا تجعل الأمر عليه أصعب، ولكنها ما إن رأته حتى انهارت مقاومتها.. اصطبغ أنفها باللون الأحمر وامتلأت عيناها بالدموع ثم طوقته بين ذراعيها.. فكان ذلك العناق بالنسبة إلى هاشم -عناق أخته له- أشبه بجبيرة يلفها حول قلبه المتهشم.

أمسك وجهها بين يديه القاسيتين، مسح الدموع عن عينَيْها بإصبعيه ثم قال كمن يُبدي إعجابه بحجر نادر كريم:

-تبدين جميلة وأنتِ تبكين.

ابتسمت وسط دموعها، فقال يُصحح جملته السابقة:

- ولكنكِ تُصبحين أكثر جمالًا وأنتِ تبتسمين.

قالت تعاتب نفسها:

- لقد أتيت لأساندك في مصيبتك؛ وإذ بك من يحاول التخفيف عني.

تُقاس قوة الرجل الحقيقية بمدى قدرته على إخفاء أحزانه على الآخرين؛ كان مثقلًا بالحزن ورغم ذلك استطاع أن يداري مشاعره خلف ابتسامة دافئة حتى وهو يقول:

- في حياة كل واحدٍ منا هنالك أشخاص ليسوا بحاجة لأن يكونوا أقوياء

نُسند أنفسنا عليهم؛ إن وجودهم حولنا بحد ذاته فقط هو السند الحقيقي.

أطالت نرجس النظر في عينيه؛ وقد بدا واضحًا عليها أثناء تلك النظرات أنها هي ما جعلت هاشم يستنتج قائلًا:

- لقد حددوا تنفيذ حكم القصاص، أليس كذلك؟!

فكان صمتها ذلك بمثابة قولها نعم؛ إذ أن السلطات السعودية قد أمرت بتنفيذ الحكم عليه بعد يومين.. وقد تم السماح لأخته بزيارته من أجل توديعه.

قال يوصيها:

- أريدك أن تعتني بابنتي أمل؛ هذا هو طلبي الأخير.

هزَّت نرجس رأسها بعلامة تدل على تعهُّدها بقبول ذلك الطلب؛ والتزمت الصمت ولكن عينيها فضحتا كلامًا كانت تحاول كتمانه عن أخيها.

- ما الذي تحاولين إخفاءه عني أيضًا؟

- أنا لست راضية عما قامت بلقيس بفعله بحقك.

- أنا لا ألومها على ذلك.

- كيف لا تلومها وهي سبب كل ما أنتَ فيه الآن؟!!

- إنك تفكرين بعاطفتك الآن يا نرجس وهذا ما يدفعك للومها؛ ولكن ضعي نفسك مكانها وفكري بالأمر قليلًا: لقد شاهدت المرأة المسكينة تلك زوجها يقتل رجلًا أمام عينيها؛ فكان من الطبيعي أن يقودها خوفها وقلبها كإنسانة صالحة إلى تقديم البلاغ ضده.

- ولماذا لم تأتِ لزيارتك حتى الآن يا هاشم؟

- ربما الخوف أو الخجل هو ما يمنعها من رؤيتي، ولكنني مُتأكِّد من أنني

سأراها قبل ذهابي إلى ساحة القصاص.

عندما سمعته وهو يقول: "ساحة القصاص" عادت عيناها تمتلئان بالدموع وقالت بنبرة صوت مقهورة:

- إنني أكرهها وأشعر بالندم على ذلك اليوم الذي قمت فيه بترشيحها لك كزوجة!!

صمت الاثنان وقد تسبب كلاهما بفتح باب الذكريات عليهما وتحديدًا إلى ذلك المساء الذي يعود إلى عِدَّة سنوات مضت عندما التقيا ببلقيس لأول مرة..

3

قبل عدة سنوات

"بلقيس لأول مرة"

صعدت نرجس إلى سيارتها مساء ذلك اليوم، بعد انتهاء مناوبتها في العيادة التي تعمل فيها كطبيبة نفسية.. ولكنها لم تكد تبتعد بضعة أمتار بسيارتها عن مواقف الأطباء المخصصة حتى اصطدمت بفتاة كانت تحاول العبور إلى الشارع الآخر.

حضر الإسعاف بعد وقت قصير وحمل المصابة إلى المشفى الأقرب من تلك المنطقة، وصل هاشم إلى المشفى مُتأخِّرًا بعض الشيء ليقف إلى جانب أخته.

- لماذا تأخرت إلى كل هذا الحد؟!

- آسف، طائرتي الخاصة تحت الصيانة.

- أهذا وقت مزاحك؟!!

- معكِ حق دعينا نتحدث بجدية. ثم أضاف وهو يجلس:

- أخبريني هل اخترتِ فتاة جميلة هذه المرة؟

كانت تعرف أخاها جيِّدًا؛ إنه ليس من ذلك النوع الذي يمزح في الأوقات الحرجة:

- هل تحدثت إلى الطبيب قبل مجيئك إلى هنا؟!

-نعم، وقد أخبرني أن الفتاة بخير؟

ارتسمت عليها ابتسامة حامدة؛ بينما أضاف هو ساخرًا:

- تستطيعين المغادرة الآن واختيار ضحية أخرى.

- إنك تبالغ قليلًا في تقدير مهاراتي القيادية.

قال يُذكِّرها:

- لقد بدأت تقودين السيارة منذ سبعة عشر يومًا فقط، وخلال هذه المدة القصيرة صدمت عمود إنارة وامرأتين يا نرجس.

- لم يكن حادث العمود خطئي!!!

- أعرف.. أعرف؛ لقد اعترض عمود الإنارة طريقك.

- هل تنكر هذه الحقيقة.

- لا أنكرها؛ ولكن ماذا كنتِ تتوقعين أن يحدث وأنتِ تتركين القيادة في الشارع وتختارين القيادة بسيارتك فوق الرصيف؟!

وعندما لم تجد ما تقوله؛ فإنها علقت:

- يهم، سوف تتحسَّن قيادتي مع الوقت.

- أتمنى أن يحدث ذلك قبل أن تتسبب قيادتك في انقراض البشرية.

قطبت نرجس حاجبيها وتظاهرت بالانزعاج، ولكن لو قُدِّرَ لأحد أن يرى ما بداخل قفصها الصدري لكان سيرى قلبها وهو يضحك من تنمر أخيها عليها.
وفي الحقيقة لقد خاضت تلك المرأة الكثير من التحديات حتى استطاعت أن تصل إلى ما هي عليه؛ ولكن على الرغم من مسيرتها الزاخرة بالشهادات والأوسمة المشرفة إلا أن ذلك الأخ كان هو أعظم ما تفخر به في حياتها كلها.

**

جاء الطبيب بعد قليل ليخبرهما بأنهما يستطيعان رؤية المصابة للاطمئنان عليها؛ فسارا خلفه إلى غرفة الملاحظة وهناك لمح هاشم بلقيس لأول مرة.

هو لم يكن من ذلك النوع الذي يلفته الجمال؛ كانت حياته كضابط مخابرات تتمحور حول عمله فقط، غير أن جمالها كان أعظم من ألا يلفت انتباهه.

لقد كانت فتاة طاغية في الجمال، تشبه بجمالها رشفة الماء التي يكسر بها صيامه عند الأذان.

قال بصوتٍ محايد:

- أتمنى أن تعذري أختي في قيادتها.

ابتسمت بلقيس بطريقة عفوية وقالت:

- لقد كان خطئي؛ أنا التي لم تنتبه أثناء عبورها الطريق.

ابتسمت أخته نرجس وكأنها حققت نصرًا عظيمًا بسماعه ذلك الرد لكنه سرعان ما سلبها ذلك الانتصار حين اتَّجهَ نحو الباب، وقال وهو يُمسك بمقبضه:

- حتى لو أنكِ انتبهتِ وتراجعتِ عن قطع الطريق لكانت أختي ستلحق بك فوق الرصيف.

ثم أضاف قبل أن يدفع بجسده من فُرجة الباب مغادرًا:

- حمدا لله على سلامتك.. ولمزيد من الحرص حاولي ألا تغادري قبل أن

تتأكدي من أن أختي قد صعدت سيارتها وابتعدت كثيرًا عن المشفى.

**

بدافع من تأنيب الضمير ظلَّت أخته نرجس ملازمةً لبلقيس في المشفى حتى سمح لها الطبيب بالمغادرة.. وقد تفاقم إحساسها بتأنيب الضمير أكثر عندما علمت أن

بلقيس ربيبة إحدى دور الأيتام؛ الأمر الذي جعلها تظل على تواصل مستمر معها طوال الأيام التالية للاطمئنان عليها والسؤال عن حالها وكأنها أختها الكبرى.

ولكن سرعان ما بدأت أحاديثهما تأخذ منعطفًا آخر، فبات الاتصال بينهما يستمر لساعات طويلة من الثرثرة والضحك ومشاركة هموم الحياة؛ الأمر الذي نقل علاقتهما إلى حيز الصداقة المقربة وقد أتاح هذ الأمر لها -لنرجس- التقرب أكثر من بلقيس وسبر أغوارها العميقة بعين فاحصة حريصة حتى توصلت أخيرًا إلى أنها الفتاة المنشودة لأخيها هاشم.

**

ولكن هاشم كان له رأي آخر في المسألة:

- إنني أعيش حياة خطيرة يا نرجس ولا أرغب بتوريط أحدٍ معي.

- ولكنني أخبرتها عن وضعك ولم أجد منها ممانعة.

قبل ثلاثة أعوام من ذلك كانت الحكومة السعودية قد قامت بتعيينه عميلًا خاصًّا لدى هيئة الفضاء؛ وقد أوكلت له تأمين ملف سري للغاية يُدعى - **حصان نجد** - والذي يُصنف كأحد أسرار الأمن القومي للبلاد؛ وبالتالي كان من الواجب عليه الحفاظ على السرية التامة لعمله وعدم كشفها للغرباء.

- هل أخبرتها بأنني ضابط مخابرات؟!!

- أخبرتها فقط بأنك تعمل في جهة عسكرية ذات طابع خطير، والفتاة لم

تمانع.

نهض من مكانه وسار مُبتعِدًا في إشارة منه على الرفض التام:

- لقد وعدتني يومًا بأنك ستفعل أي شيء لتجعلني أتخطى أمر تلك العملية الجراحية.

توقَّف ثم التفت نحوها بذهول:

- ما الذي يجعلك تذكرين هذا الأمر الآن؟

- أما زلت عند وعدك لي عندما قلت بأنك ستفعل أي شيء لتجعلني أتخطى عملية استئصال رحمي؟

- وكيف سيجعلك هذا الأمر تتخطين أمر تلك العملية؟

- لأنه بزواجك منها قد تمنحني الطفل الذي حُرمت منه إلى الأبد.

**

في تلك اللحظة قُرع الجرس -جرس زيارات السجن- قاطعًا عليهما تدفُّق تلك الذكريات القديمة، كان جرس السجن يعني انتهاء موعد الزيارة.

فاضت عيناها بالدموع عندما تذكرت أنها لحظة الوداع الحاسمة. نهض هاشم من أمامها وسار نحو الباب مُغادِرًا، لكن شيئًا ما في نفسه أراد أن يراها للمرة الأخيرة وهي تبتسم، فتوقف قبل أن يعبر الباب ثم استدار نحوها وقال:

- هناك حكمة صينية عميقة أريدك أن تتذكريها دائمًا.

- ما هي؟

- هل تفهمين اللغة الصينية؟

- لا.

- إذًا كيف أقولها لكِ؟

ابتسمت نرجس وسط دموعها وهي تتأمل فيه ابنها وأخاها وذكرياتها الجميلة..

وفي تلك اللحظة -لحظة رؤيتها مُبتسِمةً- أدرك هاشم أن الرجل لا تبتسم حياته إلا من ثغر أخته.

استدار وعبر الباب، وراح يمشي في الممر الذي يُفضي إلى عنبر السجن.. كان الممر مُظلِمًا وكان يحب الظلام.. لأنه في حلكة الظلام يوسع المرء أن يذرف الدموع دون أن يراه أحد.

❋❋

عندما دخل السجن لم يذهب إلى ركنه.. بل اتَّجهَ حيث تجلس عصبة الأفيال الآدمية الخمسة، شمر كُمي قميصه عن ساعديه بطريقة باردة وهو يقول:

- هناك فاتورة أخيرة عليَّ تحصيلها قبل رحيلي.

نهض أفراد العصبة الخمسة حين أحسوا بالتهديد ولكنهم لم يأخذوا الأمر بجدية كافية فقد كانت أجسادهم الضخمة تعطيهم ضمانة تكفل لهم التغلب عليه.

بدأ هجومه بشكل مباغت؛ كان الشبح يتحرَّك في عتمة السجن بطريقة لا يمكن استيعابها وقد استطاع أن يُسدد ضرباته في أماكن محكمة تسببت بالصرع المباشر لخصومه.

تعالت الصيحات وسط العنبر؛ مما أجبر وحدة مكافحة الشغب على التدخل لرؤية ما يحدث:

كان المنظر غريبًا لأفراد الوحدة؛ إذ إنهم شاهدوا عصبة الفيال الآدمية ممددين أرضًا بينما هاشم يُعيد إسدال كمي قميصه على ساعديه بطريقة

باردة لا توحي بأنه قد بذل أي جهد يُذكر في إطاحة خصومه الخمسة.

قرَّرَ مدير السجن إلقاءه في الزنزانة الانفرادية؛ دون أن يعلم أنه بذلك كان يُنفِّذ خطة هاشم الذي افتعل تلك المشكلة ليتم نقله إلى الزنزانة الانفرادية؛ تنفيذًا للنقش الغامض الذي ظهر له في أرضية السجن وطلب منه الذهاب إلى مكان معزول.

❋❋

أُغلق عليه باب السجن الانفرادي، وظلَّ يترقَّب حوله وكأنه ينتظر قدوم شخص غائب..

ولكن وقتًا طويلًا مضى دون أن يحدث شيء؛ ما جعله يجلس في ركن الزنزانة مخذولًا ويدرك أن اضطرابه العقلي فقط هو ما جعله يتخيَّل ذلك النقش.

ثم وهو في ذروة خيبة أمله، عبرَ مسامعه صوتٌ مألوف، بدا ذلك الصوت كما لو أنه جاء من زمن أسطوري سحيق وهو يقول:

- لقد قلنا لك ألَّا تعبث بالمصير.

رفع بصره إلى مصدر الصوت في ذهول شديد؛ فشاهد أمامه صاحبة النقش التي كتبت له على أرضية السجن تلك الجملة الخالية حروفها من النقاط: إنها سارية السماء الأولى **حورائيل**.

❋❋

احتاج هاشم إلى بعض الوقت حتى يستوعب أن ما أن ما يراه أمامه الآن حقيقة وليس وهمًا يُصوِّره له عقله المضطرب.. وحين تأكد من حقيقة ما يراه، قال بنبرة عاصية:

- كان يجب أن أعبث بالمصير.

- هذا الكلام ليس بمستغرب من شخص لم يَرَ الحقيقة كاملةً.

- أيًّا كانت الحقيقة؛ فأنا لستُ نادمًا على ما فعلت ولو عاد بي الوقت مرة أخرى لكنت سأنقذ بلقيس مجدَّدًا من رصاصة ذلك القناص الحقير.

متجاهلةً كلامه الأخير، مدت سارية السماء الأولى يدها إليه، قالت وقد عقدت العزم على أن تجعله يرى الحقيقة:

- أغمض عينيك ؛ واسمح لبصيرتك أن تفتح عين قلبك.

4

رحلة الطيف الأولى

أمسك هاشم يد حورائيل وأغمض عينيه؛ مرَّت لحظات يسيرة بعد ذلك ثم بدأ يشعر وكأن نفسه تُفصل عن جسده وترتفع نحو الأعلى.. تسبب له ذلك الشعور بالارتباك ففتح عينيه ليجد نفسه -بالفعل- يرتفع نحو الأعلى تاركًا جسده ساكنًا في الأسفل مكانه عند ركن السجن.

ظلَّ طيفه يرتفع في الهواء برفقة حورائيل حتى دخلا من خلال بوابة تُفضي إلى ممر أسود مهيب يُشبه الثقب وعبراه إلى مكان ما.. ليجد نفسه بعد لحظات وقد بات يطفو فوق منزله ويشاهد ما يحدث في الأسفل وكأنه يشاهد عرضًا مسرحيًّا.

- لماذا نحن فوق منزلي الآن؟

- لقد انتقلنا إلى الماضي؛ إلى اليوم الذي ألقيت فيه القبض على ذلك القناص.

وعند تلك اللحظة شاهد هاشم نفسه في الماضي: عندما غادر باب المخزن تاركًا خلفه القناص (آسر) ليجد (راما) تقف عند الباب وتقول في قلق:

- هناك شيء لا يبعث على الاطمئنان، قلبي يخبرني أن هناك شيئًا فظيعًا سيحدث في قادم الوقت.. إن القناص يتحدث عن منظمة خطيرة قد تهاجمنا في أي لحظة لتقتله وتقتل الحقيقة معه؛ لذلك يجب أن نتحرك

بسرعة ودون تأخير.

- هذا ما سيحدث.. ولكن قبل ذلك علي أن أصعد إلى غرفتي لأصطحب معي بعض الأوراق الثبوتية التي ستجعلنا نتحرك بطريقة أسهل في أروِقة مركز الأمن.

- وزوجتك بلقيس؟!

- ماذا عنها؟!

- هل ستدعها هنا، أم أنك سوف تصحبها معنا؟!

- في الحالات الطبيعية لم أكن لأفكر بأن أشركها في أمر مشابه.. ولكن في هذه الحالة أعتقد أنني لن أطمئن عليها إلا إن كانت قريبة مني؛ فأستطيع حمايتها عند الخطر.

وبينما هاشم ما يزال طافيًا في الهواء إذ راح يرى في الأسفل ما حدث في الماضي: حيث طلب من راما مراقبة القناص داخل المخزن، بينما صعد هو إلى الطابق الثاني من منزله.

قال طيف هاشم مُتسائلًا:

- والآن ماذا سيحدث يا حورائيل؟

- الآن ستعرف الحقيقة.

- أي حقيقة؟

ألم تسمع عن فضائل الصبر؟!.. انتظر وسترى بنفسك.

بدأ طيف هاشم الآن يراقب المشهد بعين فضولية؛ يريد أن يرى الشيء الذي اصطدم برأسه في الماضي وأدخله في الغيبوبة لمدة ثلاثة أيام.

في البداية كان كل شيء يسير بطريقة طبيعية، إلى أن حدث ذلك الشيء الذي جعل عينيه تتسعان بذهول ورعب.

فقد خرج رجل ما كان يختبئ في طرف الغرفة، ثم اتَّجهَ نحو هاشم الذي

كان ما يزال مُنهمِكًا في البحث عن المستندات المطلوبة وقام مستخدمًا عصا غليظة، بتوجيه ضربة فنية من الخلف استهدفت منطقة ما بين رأسه وعنقه ليختل توازنه ويسقط مكانه أرضًا..

اجتاحه - اجتاح طيف هاشم - شعور مخيف وهو يشاهد ما حدث؛ لكن جميع تلك المشاعر تبعثرت في الهواء وهو يرى ذلك المهاجم يتَّجه نحو غرفة زوجته بلقيس النائمة فوق سريرها، الأمر الذي دفعه الآن وهو يرى ذلك المشهد لمحاولة التدخل وحمايتها من الأذية فأوقفته حورائيل قائلةً:

- تذكر أنك الآن لست إلا طيفًا يُشاهد الماضي، ولا يمكنه التدخل.

مكث طيف هاشم ينظر بترقب إلى المشهد؛ فرأى المهاجم وهو يدخل غرفة زوجته ويتَّجه نحو سريرها.. ثم رآه وهو يُزيح اللحاف من فوق جسدها ويقول:

- يُمكنك الآن أن تنهضي يا (أفروديت) لقد تم الأمر كما أمرت.

قالت وهي تنهض من فوق السرير :

- يُسعدني أنك وافقت على تغيير الخطة في اللحظة الأخيرة يا مهران.

- أصارحك القول : لقد وددت لو أنكِ جعلتِني أقتله.

- لا معنى لقتله إن كنا نريد أن نلصق التهمة به.

- أي تهمة؟

قالت تشرح وهي تلبس قفازين في يديها:

- سوف تذهب الآن لجلب السيارة بينما سأذهب لقتل (آسر) بعدها سأقوم بتقديم بلاغ للسلطات أدَّعي فيه أنني رأيتُ هاشم يقتل شخصًا في

مخزن المنزل.

- وهل سوف تنطلي هذه الخدعة على السلطات المحلية بظنك؟

سارت نحو جسد هاشم المُمدَّد أرضًا - الفاقد للوعي - مدَّت يدها المغطاة بالقفاز إلى مسدسه المُثبَّت حول خصره، أمسكت يده ونقلت بصماته إلى هيكل السلاح:

- سوف يجدون الجثة في مخزن منزله يا مهران وكذلك سيجدون بصمات يده على مقبض السلاح، وسوف يُثبت تقرير معمل الأدلة الجنائية لاحقًا أن الرصاصة خرجت من مسدسه؛ كل هذه الأدلة بالإضافة إلى شهادتي التي سأقدمها بعد قليل عبر الهاتف ستجعلهم يصدقون أن هاشم هو من قتل آسر.

وحين انتهت من نقل بصماته إلى هيكل المسدس؛ قالت وهي تتَّجه مغادرةً نحو المخزن:

- لقد دفعنا الأموال لبعض الجهات الخارجية المختصة والتي سوف تُحوِّل الحادثة بطريقتها إلى قضية رأي عالمية تُشغل الحكومة السعودية عنا ريثما ننتهي من بيع **ملف حصان نجد**.

**

توقف المشهد عند ذلك الحد وعاد طيف هاشم إلى جسده الجالس في ركن الزنزانة الانفرادية..

كانت كل الآلام التي عاشها في حياته السابقة في كفة وما اكتشفه اليوم في كفة أخرى: **لقد أدرك الآن أن هنالك بالفعل ما هو أسوأ من الموت؛ لقد كانت الحقيقة التي اكتشفها قبل قليل.**

انبعث صوت حورائيل في فضاء الزنزانة:

- ما الذي تنوي فعله بعد أن عرفت الحقيقة؟

تطلع إليها بملامح خاوية كما لو أنه جثة تنظر إلى الفراغ؛ فليس هنالك أقسى من أن يكون سبب تعلُّق المرء بالحياة كرهه لها، قال مستسلمًا:

- يبدو أنني سأتوقف عند هذه المحطة، وأضاف يرفع راية الهزيمة، ويُعلن استسلامه.

لحسن الحظ لم يبقَ كثير على موعد الإعدام؛ فهذا الوجع لا يغسله سوى الموت.

كانت حورائيل تتفهَّم هذه الطبيعة -الطبيعة البشرية- التي يصبح فيها المرء غير قادر على اتِّخاذ القرار الصحيح؛ لا سيما بعد تلقِّيه صدمة قاسية كتلك التي عصفت بهاشم لتوه.

- أنت لا تريد أن تغسل وجعك، أنت تريد أن تهرب.

- أهرب من ماذا؟!

- من تبعات عبثك بالمصير.

- لو كنتُ أعلم حقيقتها لما كنت فعلت.

- لقد فات أوان هذا الكلام الآن وبات عليك أن تقف لتواجه عواقب فعلتك.

- ماذا تريدين مني أن أفعل؟

- ليست مهمتي أن أخبرك ما تفعل، لكنني أستطيع أن أجعلك ترى شيئًا قد يُلهمك فعل الصواب.

قالت ذلك ثم أخرجت قلادة انتزعت من صدفتها شيئًا ما، كان ذلك الشيء عبارة عن ورقة حمراء مطوية بعناية تفوح منها رائحة عبير الباودر الذي ما إن استنشقه حتى تذكَّرَ ابنته أمل: **إنها الرسالة ذاتها التي أعطتها له ابنته أمل في السابق ولكنه نسي أن يقرأها.**

- وما الذي ستغيره هذه الورقة؟

- ستغيرك أنت.

وأضافت سارية السماء الأولى وهي تمدُّ إليه يدها لتأخذه نحو المكان الذي سيكشف له سر تلك الرسالة:

- هات يدك؛ سأريك شيئًا أخيرًا.

[3] في الجزء الأول من الرواية أعطته حورائيل قلادة تنتهي بصدفة مغلقة وقالت له "عندما يُطبق الخطر الشديد عليك، وتحيط بك أمواج العتمة المتلاطمة افتح هذه القلادة.. سيخرج منها إليك نور أحمر ينقذك" كانت تقصد بالنور الأحمر "رسالة أمل" وقد قرَّرَت الآن أن تكشف له عن فحوى تلك الرسالة.

5

رحلة الطيف الثانية

نقلته حورائيل إلى الماضي..

ولكن ليس إلى منزله هذه المرة بل إلى قاعة واسعة تراصفت فيها العديد من الطاولات والمقاعد الخضراء المصوبة نحو سبورة مستطيلة تحتل أغلب مساحة الجدار.

كان الفصل الدراسي ذلك الصباح زاخرًا بالطالبات، التفت هاشم نحو فتاة مُحدَّدة تجلس ببراءة في منتصف الصف، وبالرغم من أنه طيف إلا أن مشاعره هاجت وماجت وهو ينظر إلى أمل وإلى ضفيرة شعرها ووجهها الجميل المنهمك في إخراج دفاترها وأقلامها من الحقيبة.

اقترب طيفه منها قليلا ولمح على طرف طاولتها عبارة مكتوبة بخط يدها المميز:

"من قال بأن المال لا يشتري السعادة،
لم يجرب شراء كتاب جيِّد"

قُرِع الجرس -جرس المدرسة- مؤذنًا ببداية الحصة الجديدة. دخلت بعد قليل مُعلمة مادة اللغة العربية وأدت للطالبات تحية كاملة ثم تناولت القلم وكتبت عنوان الدرس على السبورة.. كل ذلك وطيف هاشم يتأمَّل ملامح وجه ابنته أمل ويتمنى لو كان بوسعه أن يعانقها.

قطع اندماجه صوت المعلمة وهي تتحدث:

- لدينا مشروع تعبير مميَّز لهذا اليوم.

لقد نجحت المعلمة ببراعة في جذب انتباه الطالبات لها، ونجحت أيضًا في جذب انتباه طيف هاشم معهن، أكملت المعلمة تخبرهن بتفاصيل المشروع.. وما إن انتهت من الشرح حتى تصاعد حماس الطالبات وكل واحدة منهن قد بدأت بتنفيذ ما طُلِبَ منها.

أخرجت أمل ورقة حمراء من حقيبتها -إنها ذات الورقة التي طلبت من والدها قراءتها في السابق- وبدأت تكتب عليها شيئًا. اقترب هاشم منها وقد أحسَّ

بالفضول تجاه ما سوف تكتبه ابنته، وما أن رأى العبارات التي خطتها على الورقة حتى دمعت عيناه في تأثُّر شديد.

رسالة أمل

" الورقة الحمراء"

لقد كان مشروع التعبير الذي طلبته منهن معلمة اللغة العربية هو اختيار بطل خارق للكتابة عنه؛ ولما كانت جميع طالبات الصف قد اخترن أبطالهن من وحي القصص المصورة وأفلام الكرتون العالمية فإن أمل قد اختارت أن تكتب عن بطلها الخارق الحقيقي:

"أنت أفضل أب يمكن أن تحصل عليه أي ابنة في هذا العالم.. إنك أحب الأشياء إلى روحي وقلبي أنت قدوتي في هذه الحياة.. وبطلي الخارق"

عاد طيفه إلى جسده مرة أخرى في السجن، ولكن حورائيل كانت قد اختفت بينما ظلَّت الورقة الحمراء في يده المُرتجِفة يعاود شمها وقراءتها من بين دموعه في حب وندم.

وقرر أنه لن يستسلم للهزيمة؛ فالاستسلام للهزائم لا يليق ببطل خارق مثله.

1.1.2.1

1

لم تمض ساعات طويلة بعد ذلك حتى فتح باب الزنزانة الانفرادية ودخل نايف الأوسي – الضابط الذي حقق معه في المشفى – وهو يتمتم قائلًا:

- قالوا بأنك تريدني في أمر هام.

- لقد سرقوا حصان نجد يا حضرة الضابط.

قال بنبرة صوت مستفهمة:

- سرقوا ماذا؟!

- لقد كُلفت بتأمين مشروع سري يُدعى (حصان نجد) لا أستطيع أن أكشف لك تفاصيله الدقيقة.. ولكن كُل ما يمكنني أن أقوله لك أنه ملف يحوي مخططات الحكومة المستقبلية المتعلقة بمشروع غزو الفضاء، وهو يُصنف كأحد أسرار الأمن القومي للبلاد.

وبينما كان الضابط يواصل الإصغاء إليه أكمل هاشم يقول:

- ولكن يبدو أن زوجتي بلقيس والتي اتضح أن اسمها أفروديت.. كانت عميلة سرية لدى إحدى الجهات المعادية وقد عملت جاهدة طوال الاعوام الماضية للحصول على الملف.. ثم قررت التخلص مني بعد تحقيقها للمهمة بنجاح.

- وكيف لا تنتبه الحكومة لسرقة ملف بكل هذه الأهمية؟!

- لأنهم سرقوا نسخة منه.

- هل تريد نصيحتي في هذا الأمر؟

هزَّ رأسه بعلامة نعم بينما قال الضابط نايف ناصحًا:

- يجب أن تُقدم هذه الفكرة إلى منصة نتفلكس أو شاهد؛ أراهنك على أنهم سوف يقومون بتحويلها على الفور إلى فيلم أو مسلسل ناجح.

أمام سخرية الضابط وعدم تصديقه؛ كان على هاشم أن يُقدم إليه ما يُشعل شمعة في رأسه:

- ألا ترى أن قضيتي هذه قد أخذت أكبر من حجمها بكثير؟

- ماذا تقصد أن تقول؟!

هنالك فمّ ينفخ في نار هذه القضية يا حضرة الضابط.

أتقصد أن تقول بأن الجهة التي تزعم أن زوجتك بلقيس تعمل قامت لمصلحتها هي من بتضخيم الحادثة؟!.. وتحويلها إلى قضية رأي عام دولية؟!.. من أجل إلهاء السُّلطات عن مخططهم الرئيسي.. وهو سرقة الملف الذي تتحدث عنه؟!

ندت عن هاشم ابتسامة مُعجبة بذكاء الضابط وقال ساخرًا:

- يبدو أنني لستُ الوحيد صاحب الخيال الواسع هنا.

"لا لم يكن هذا خيالا واسعًا، لقد عمل الضابط نايف الأوسي في الكثير من الجرائم الجنائية قبل هذه المرة.. وقد قام بالتحقيق في جرائم قتل كانت أكبر بكثير من الجريمة التي ارتكبها هاشم.. ولكن أيًّا من تلك القضايا السابقة لم تنل ربع الاهتمام الواسع الذي نالته هذه القضية بالذات.. وهذا ما قاده إلى الشك في أن ما قاله هاشم قبل قليل قد يكون صحيحًا"

قال الضابط وقد وجد تفسيرًا لأمر كان يفكر فيه:

- هذا ما يُفسر أمر اللعاب الذي تم اكتشافه على شفتي جثة القتيل آسر.

هاشم وقد أثار هذا الأمر تعجبه عن أي لعاب تتحدث؟

قال الضابط يكشف له سرًا لم يتوقعه:

- لقد وجدوا أثر لُعاب غريب على جثة القتيل؛ وعند فحص الحمض النووي ومعاينته اكتشفوا أن ذلك اللعاب يعود إلى بلقيس.

جفّت عروقه حين سمع ذلك الأمر، وقال بنبرة صوت معترضة:

- لماذا لم يُذكر هذا الأمر في مذكرة الأدلة الجنائية التي تم تقديمها للمحامي الخاص بي؛ فهذا الدليل كان من شأنه أن يقلب ميزان القضية لمصلحتي!!

- لقد كان هذا الدليل مذكورًا بالفعل، ولكن محاميك تجاهله.

دارت الدنيا في ذهن هاشم حين سمع تلك الإجابة "هل هذا يعني. أن محاميه قد تستر عامدًا على هذا الدليل؟!.. ولماذا قام وسيم بفعل ذلك يا تُرى؟!

قطع الضابط حبال أفكاره بأن قال:

- أنا مستعد لأن أنقل صوتك للجهات العُليا وأن نُعيد فتح القضية من جديد.

- يبدو أنك لا تفهم حساسية الموقف – وأضاف صارخًا:

- الأمر لا يحتمل التأخير.. فهنالك ملف سريٌّ يمس الأمن القومي لبلادك قد سُرق أيها الضابط.. والجهة التي سرقته سوف تتصرف به قبل أن يصل صوتك للجهات العليا!!!

- ما الذي تقترحه؟

كوحش غاضب، قال هاشم متوعدًا:

---

[1] في نهاية الجزء الأول من أرسس: قامت بلقيس –قبل قتل القناص آسر– بوضع قُبلة وداع على شفتيه؛ وهذا ما يفسر وجود حمضها النووي على الجُثَّة.

- أطلق سراحي وسأجعلها تمطر نارًا عليهم.

- هل أصبت بالغباء، أم إن الجنون قد أطار عقلك؟!!

- الجنون يا حضرة الضابط هو أن تقف مكتوف اليدين بعد أن عرفت بالحقيقة.

- إنك تطلب مني أمرًا لا أستطيع تنفيذه.

مدَّ هاشم إليه يده وقال:

- كل ما أريده منك فقط هو أن تناولني هاتفك.

تردد الضابط نايف قليلا، ولكنه استبعد أخيرًا أمر المساعدة وهمَّ بمغادرة السجن.

- ملف حصان نجد يا حضرة الضابط هو حصيلة سنوات طويلة من الأبحاث والدراسات والتجارب التي قام بها مركز الأبحاث السري التابع لهيئة الفضاء السعودية؛ إنه يُمثل جزءًا هاما من مستقبلنا ومستقبل الأجيال القادمة ويجب ألَّا نسمح لأحد بأن يعبث به.. إن هذه الخدمة التي ستقدمها ليست من أجلي.. بل من أجل هذا البلد.

نجحت كلمات هاشم في الوصول إلى قلبه:

- لماذا تريد هاتفي؟

- من الأفضل لك ألا تعرف.

وأضاف يقول وهو ما يزال يمد إليه يده مطالبًا بالهاتف:

- اسمح لي فقط أن أبعث برسالة واحدة.

- بشرط أن أقرأ ما سترسله.

كان هاشم يتفهم حذر الضابط؛ لذلك قال يؤكد عليه:

- لن أرسل شيئًا يورطك، سأنتهي من كتابة الرسالة ثم سأجعلك تطلع عليها وتُرسلها بنفسك.

**

ظنَّ ضابط التحقيقات أن هاشم سيكتب رسالة استغاثة طويلة لشخص ما؛ ولكنه في الحقيقة اكتفى بأن كتب رسالة مكونة فقط من أربعة أرقام منفصلة: 1.1.2.1

وما إن تأكد الضابط نايف الأوسي، من خلوها مما قد يورطه مستقبلا حتى ضغط زر الإرسال ثم قام بمسحها من هاتفه واتجه نحو الباب مغادرًا.

- حضرة الضابط، هنالك طلب أخير.

الضابط في ضجر:

- أراك تُكثر من الطلبات هل أفهموك أنه سجن أبي؟!

- أريدك أن تُعيدني بطريقتك إلى السجن العام.

- لماذا؟

- إنني أشعر بالوحدة في الحبس الانفرادي.

- هل تطلب مني أن أُصدق إجابتك هذه؟

- أطلب منك ألا تسأل كثيرًا؛ فمن الأفضل لك ألا تعرف.

**

في الحقيقة:

هاشم لا يعلم الطريقة التي سوف تتم من خلالها الأمور، ولكنه كان متأكدًا من شيء واحد فقط وهو أن إجراءات هروبه من السجن سوف تبدأ منذ

اللحظة التي تصل فيها رسالته إلى الشخص المقصود.

2

مَلِك

في مساء اليوم التالي وقبل موعد عشاء المساجين؛ كان هنالك هدوء غريب يعم فضاء السجن العام يُشبه تمامًا ذاك الهدوء الذي يسبق العاصفة. اقترب أحد المساجين من هاشم بطريقة عفوية ليحذره مما هو قادم:

- جماعة الأفيال تنوي الانتقام منك.

- على الرحب والسعة، تعودنا ألَّا نرد الضيف.

- ولكننا نريد لضيافتك لهم أن تطول أكثر يا هاشم.

تطلع إليه في تساؤل ليواصل السجين حديثه:

- مَلِك يُهدي إليك تحياته.

خفقت أعماق هاشم عند سماعه ذلك الاسم، وأراد أن يسأل السجين أكثر إلا أن السجين لم يُعره اهتمامًا وغادر من فوره دون أن يلتفت إلى الوراء.

مع اقتراب موعد عشاء المساجين أكثر: تقدمت عُصبة الأفيال الآدمية الخمسة نحوه حتى طوقته من جميع الاتجاهات، قال أحدهم بصوت غاضب:

- لقد أخذتنا على حين غرة في المرة الماضية.

- هنالك طريقة واحدة لنتأكد ذلك.

قال هاشم عبارته تلك وقد نهض.. وباعد بين ساقيه قليلا ثم رفع يديه في وضعية قتالية وكانت هذه الإشارة تكفي عصبة الأفيال الآدمية للانقضاض عليه.

ومع نشوب المعركة حدث شيء غريب داخل السجن.. إذ راح جميع المساجين يشتركون في العِراك مُحدثين بذلك فوضى عارمة وكأنهم جماعة من القردة المشاغبة.

وما هي إلا لحظات بعد نشوب العِراك وإطلاق صفارات الإنذار حتى فتح باب السجن واندفع إلى الداخل تسعة أفراد وحدة مكافحة الشغب بدروعهم الثقيلة وأقنعتهم التي تُغطي وجوههم.

بدأت عملية فض العِراك، فانطلقت الهراوات الخشبية تضرب كل من تقابله؛ مما زاد من حرارة الاشتباك داخل السجن أكثر.. وفي غمار كل تلك الفوضى انبرى أحد أفراد وحدة مكافحة الشغب ليرتطم بدرعه في جسد هاشم ويدفعه بقوة نحو عنبر جانبي مفتوح الباب ليجعله يسقط داخله وعندما أصبح الاثنان وحدهما داخل العنبر ألقى العنصر الأمني له بكيس بلاستيكي وقال من خلف القناع:

- ارتدِ هذه بسرعة؛ فلا وقت لدينا.

ثانية واحدة فقط استغرقها هاشم لاستيعاب الموقف، بعدها مزَّق الكيس البلاستيكي بسرعة وأخرج محتواه.. ثم مستغلًا. استمرار الفوضى المنظمة التي تحدث خارج العنبر قام بارتداء ما في الكيس.

بعد دقائق يسيرة من ذلك:

تمكن أفراد وحدة مكافحة الشغب (التسعة) من السيطرة على الموقف وضبط المساجين في صفوف على الجدران.. دخل حراس السجن ليستلموا عنهم المهمة ويضمنوا استمرار الأمن بينما غادر أفراد مكافحة الشغب (العشرة) المكان.

في منطقة برية معزولة عن المدينة:

توقفت سيارة سيدان(*) ذات زجاج مُظلل هبط منها شخص مقنع يرتدي الزي الكامل لأفراد مكافحة شغب السجون وصعد إلى سيارة بيضاء من نوع – سيارات المنازل المتنقلة – والتي كانت في انتظاره هناك.

- دخل المقنع إلى السيارة قال وهو ينزع القناع عن وجهه:

- الحق يُقال: كنت أعرف أنك ستتصرف يا مَلِك، ولكنني لم أتوقع منك هذه الخطة.

كان اسمه مدرجًا على قائمة أكثر من جهاز أمني حول العالم، هو في منتصف الأربعينيات من عمره أسود البشرة ضخم الجسد طويل القامة يملك ملامح بشوشة اسمه عبد الملك، ولكن أصدقاءه المقربين ينادونه (مَلِك).

- لن أتأخر عنك حتى لو اختطفتك الجن والعفاريت يا هاشم.

تعانق الاثنان بطريقة تليق بصديقين قديمين فرقتهما سُبل الحياة، ليلتحق الأول بالطريق الأمني، بينما الآخر بعالم الجريمة.

هاشم وهو يتأمله:

- تبدو صحتك جيدة، هل توقفت عن التدخين؟!

- يا الله يا هاشم.. اكتشفت أن الدخان سم قاتل.. هل تعلم أن ثمة إحصائية تقول بأن هنالك حوالي ثمانية ملايين إنسان يموتون سنويًّا بسبب.. التدخين؟! وهذا الرقم يفوق عدد ضحايا الحروب السنوية في العالم أجمع.. لقد قرأتُ الكثير والكثير عن أضرار التدخين حتى أقلعتُ
أخيرًا.

وبعد أن انتهى ملك من قول ذلك أخرج سيجارة من جيبه ووضعها بين شفتيه أخذ نفسًا عميقًا منها ثم أردف موضحًا وهو ينفث الدخان من جوفه:

---

* اسم هذا النوع من السيارات باللغة الإنجليزية: Motorhome

- لم أقلع عن التدخين بالطبع، لقد أقلعت عن القراءة.

- لم تتغير؛ ما زلت مجنوناً كما عرفتك دائمًا.

- لا شيء أجمل من الجنون، إنني أشفق على المؤدبين في هذا العالم.

في تلك اللحظة طرق باب السيارة؛ فنهض ملك ليفتح لأحد أعوانه وهو يقول:

- ماذا هناك؟!

- هنالك أخبار سيئة جدًا.

ومدّ إليه جهاز الآيباد وأضاف: خذ انظر بنفسك.

أخذ ملك منه جهاز الآيباد وما إن شاهد ما شاهده حتى بدت على ملامحه الضيقة والكدر، أدرك هاشم وهو يراقب ملامح صديقه أن الأمر خطير:

- ماذا حدث؟!

صمت مَلِك ولم يتكلم؛ الأمر الذي جعل هاشم يدرك خطورة الموقف أكثر:

- تحدث – قال وهو يتوقع الأسوأ – أخبرني ماذا حدث؟!

تكلمَ مَلِك أخيرًا:

- لقد هُزم الهلال في مباراة اليوم.

احتاج هاشم بعض الوقت ليستوعب ما سمعه للتو:

- يا إلهي، لقد ظننت أنهم أذاعوا خبر هروبي!! كانت السيارة المنزلية المتنقلة مزودة بدورة مياه صغيرة فتح ملك صنبور المياه وغسل يديه ثلاثاً:

- الحكومة لن تغامر بإذاعة خبر هروبك وإحراج نفسها أمام المجتمع الدولي، ربما يتكتمون على الأمر قليلاً ريثما يُلقي رجال المباحث القبض عليك. كان تحليله منطقيًّا، أكمل ملك ما كان يفعله في دورة المياه الداخلية: فتمضمض واستنشق

الماء، غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح رأسه وأذنيه وغسل قدميه إلى الكعبين.

لم يتعجب هاشم وهو يرى ذلك المنظر:

فذلك المَلِك كانت له شخصيته المعقدة؛ فبالرغم من كونه مجرم خطير وأحد الفارين من العدالة إلا أنه كان لا يتأخر عن أداء الصلاة في وقتها حتى وهو في ذروة عمله الإجرامي وكان خاتم التسبيح لا يفارق إصبعه السبابة؛ شعاره دائمًا:

"أيًّا كان قعر الانحطاط الذي هويت إليه، انهض بصلاتك"

**

بعد انتهائهما من صلاة العشاء أشعل مَلِك سيجارة وضعها بين شفتيه، وألقى بسؤال منطقي كان يراوده منذ اللحظة التي تلقى فيها شفرة الاستغاثة:

- ظننت أنك سترسل الشيفرة إليَّ منذ اليوم الأول لسجنك، ولكنك لم تفعل.

- كنتُ موافقًا على حكم القصاص.

- وما الذي غير رأيك؛ هل خفت من الموت يا صغيري؟

- لا نفس تُولد على هذه الأرض إلا وقد أُطلق وما هو سهم الموت نحوها إلا وقت قصير حتى تُصيب تلك السهام أجسادنا وتفنيها؛ لذلك علينا ألا نخاف الموت.

كلام جميل، رغم أنني لم أفهم منه شيئًا.

- كُل ما في الأمر أنني اكتشفت الحقيقة.

- أي حقيقة مُفجعة هذه التي جعلتك تطرق بابي يا هاشم بعد بكل هذه القطيعة؟!

- لا أريد أن أتكلم كثيرا الآن - وأضاف:

- كل ما أستطيع أن أخبرك به الآن هو أن هنالك شخصًا آذاني بقوة، فهل أنت معي؟

- معك إلى جهنم ورب الكعبة.

- إذًا دعنا نتحرك الآن وسأخبرك بكل شيء في الطريق.

- حسنًا - قال مَلِك وأضاف وهو ينهض:

- أصلي سُنة العشاء أولًا، ثم نذهب لنعاقب من آذاك يا صغيري.

3

عند الساعة التاسعة والربع مساءً: تتوقف سيارة سوداء ذات زجاج معتم لها سمة المركبات الحكومية أمام عمارة سكنية ذات طوابق متعددة في وسط حي غرناطة بالقرب من المركز التجاري الشهير الذي يحمل الاسم ذاته.

يترجل منها رجلان يرتديان ملابس مدنية عجزت عن إخفاء هيبتهما العسكرية.. اتجها نحو باب العمارة وقد كان كل واحدٍ.. منهما – ولسبب ما – يخفي ملامحه خلف كمامة سوداء.

عبر الاثنان مدخل العمارة وصعدا إلى الطابق الرابع، ثم اتجها إلى شقة في طرف الممر، ضغط أحدهما زرَّ الجرس وما هي إلا لحظات يسيرة حتى انبعث من الجهة الأخرى للباب صوت أُنثوي حذر يتساءل:

- من هناك؟

الرجل الذي ضغط زر الجرس:

- نحن من المباحث العامة يا راما، ونرغب في الحديث معك.

انفرج الباب قليلًا بمقدار ما تسمح له سلسلة الأمان الحديدية، نظرت راما إليهما بتوجس وكأنها تتفحصهما، قبل أن يستقر بصرها أخيرًا على الرجل الذي ضغط زر الجرس:

- لقد قلتُ كل ما أعرفه في المحكمة، وليس لدي ما أضيفه.

- نحن لسنا هنا من أجل قضية هاشم.

- لم أنتما هنا إذًا؟

- من أجل طفلك المفقود.

اتسعت عيناها بلهفة ولكنها لم تتخل عن حذرها:

- هل أستطيع رؤية هويتيكما؟!

رفع الرجل الآخر بطاقة تعريف عليها شعار وزارة الداخلية وما إن شاهدت راما ذلك حلّت السلسلة وفتحت الباب سامحة لهما بالدخول.

عبر الاثنان إلى داخل الشقة وهي تُغلق الباب من ورائهما ببطء، وما إن أغلقت الباب حتى نزع الاثنان كمامتيهما فاتسعت عيناها في ذهول وهي ترى ذلك الوجه – وجه هاشم – ينظر إليها في غضب لاذع.

حاولت أن تصرخ، ولكن مَلِك أغلق فمها وهو يلوي ذراعها خلف ظهرها:

- إياكِ أن تصدري صوتًا.

أومأت برأسها موافقة وعيناها لا تفارقان وجه هاشم.

واصل مَلِك قائلًا:

- سوف نتحدث معكِ قليلاً ثم نرحل بسلام، اتفقنا؟!

اومأت برأسها في إيجاب؛ فأرخى مَلِك قبضته عن ذراعها وأزاح كفه عن فمها.

لحظات الصمت خيمت على الشقة السكنية، كان خلالها من هاشم يُرسل فوجًا من النظرات المعاتبة إلى راما قبل أن يسألها بنبرة صوت مخذولة قائلًا:

- كم دفعوا لك ثمن خيانتك يا راما؟

حاولت أن تنطق في تلعثم:

- أريدك أن تفهم أنَّني..

قاطعها هادرًا:

- لا أريد أن أفهم إلا شيئًا واحدًا: كم دفعوا لكِ؟!

سالت دموعها بغزارة وقالت في خجل فظيع:

- لم يكن مالًا قبضته، بل روحًا حميتها.

وأضافت في ألم:

- لقد هددوني بقتل ابني.

- كيف يقتلونه وهم لا يعرفون مكانه؟!

- إنَّهم يعرفون مكانه يا هاشم؛ دعني أُريك.

قالت ذلك واتجهت إلى طرف ردهة المنزل.. ثم من على طرف الطاولة تناولت هاتفها المحمول.. وما إن استدارت حتى وجدت ملك يقف كالظل خلفها ويقول:

- لقد قرأتُ ذات مرة أنَّ الرجل اللطيف لا يعذب المرأة بالضرب بل يقتلها فورًا، فإياكِ ثم إياكِ أن تفعلي أي حماقة تدفعني أن أظهر لكِ الجانب اللطيف مني.

- لن أفعل شيئًا، سأريكما المقطع فقط.

حركت إصبعها على شاشة الهاتف، وأدارت في الخلفية مقطع الفيديو المراد وقربته منهما وهي تقول:

- لقد هددوني بقتله إن لم أنفذ ما طلبوه منِّي في المحكمة.

كان مقطع الفيديو يعرض وجه طفل بدا أنه الخامسة من عمره، وهو يبكي في خوف ويتلفت حوله.. قال هاشم في تلك اللحظة معاتبًا:

- لماذا لم تخبري المحامي وسيم بالحقيقة؟! كان يُمكنه أن يتصرف يا راما لو أخبرته بأنهم هددوكِ بقتل طفلكِ، لقد كادت شهادتكِ أن تفصل عنقي عن جسدي.

- محاميك وسيم هو الشخص الذي هددني يا هاشم.

لحظات من الصَّمت خيمت على فضاء الشقة السكنية، بينما كان هنالك صوت كالطنين في أذن هاشم.. يُشبه ذلك الصوت الذي يتبع الصفعة الشديدة على الوجه.

تلك اللحظة اقترب منهما مَلِك والذي لسببٍ ما كان طوال الوقت يُعيد مشاهدة مقطع الطفل وكأنَّ شيئًا ما في ذلك المقطع أثار ملاحظته:

- انظرا إلى حركة شعره ألا تلاحظان شيئًا غريبًا؟

كانت عاطفة راما تجعلها لا تنتبه إلى المغزى الذي يقصده مَلِك، وبالرغم من أن هاشم كان ما يزال تحت تأثير صدمة اكتشاف خيانة المحامي إلّا أنَّه قال وقد استنتج أمرًا يبدو غريبًا بعض الشيء في ذلك المقطع:

- حركة خصلات شعره تدل على أنه يتعرض لتيار هوائي قوي، ولكن عينيه لا ترمشان بطريقة تتناسب مع اندفاع الهواء على وجهه وهذا أمر غريب.

- أحسنت يا صغيري. وأضاف مَلِك قائلاً: هذا ليس مقطعًا حقيقيًّا؛ بل هو مقطع فيديو تم تصنيعه بواسطة تقنية الخداع العميق وهو أحد أساليب الذكاء الاصطناعي.. لجوؤهم إلى هذه الخدعة يعني أنهم لا يعرفون مكان ابنكِ.

ما إن سمعت ذلك راما حتَّى انهارت على أقرب مقعد إليها، وغطت وجهها بكفيها وهي تبكي في ندم شديد وتقول وسط نشيجها:

- لقد دمرت حياتك بلا سبب أنا آسفة يا هاشم!

تطلع إليها هاشم قليلًا قبل أن يقول متمتمًا:

- ما زال يُمكنكِ تعويض ما فعلته بالتعاون معنا.

- أنا أعلم أنك بريء وأن زوجتك بلقيس والتي اتضح بأن اسمها الحقيقي هو أفروديت.. هي من قتلت القناص تلك الليلة في المخزن.

كان هاشم يملك من الرشد ما يجعله قادرًا على تفهم دوافع الخوف التي جعلت تلك الأم تشهد بالزور ضده وهذا ما جعله يقول بنبرة متسامحة:

- ابنكِ بخير وأعدكِ أن أساعدك في استعادته حين ينتهي كل شيء، أخبرينا الآن بكل ما حدث في المخزن تلك الليلة يا راما، ولا تغفلي شيئًا.

❃❃

قصّت راما عليه كل ما رأته تلك الليلة منذ لحظة دخول بلقيس إلى المخزن.. مرورًا بسماعها تلك الجملة الخطيرة والتي ما بارحت خيالها لحظة واحدة:

- لقد سمعتها تقول قبل أن تقتله "**اطمئن طفلتنا ستكون بخير**".

أحس هاشم تلك اللحظة وهو يستمع لتلك الجملة "**اطمئن طفلتنا ستكون بخير**" ويكتشف أنَّ أمل ليست ابنته بذات الإحساس الذي كان سيشعر به لو أنهم قطعوا رأسه في ساحة القصاص.

واصلت راما تخبرهما بما حدث بعد هروبها من الفيلا:

- كنتُ أجري وأنا أبكي لفرط خوفي من الحقيقة التي اكتشفتها، ولم أتوقف حتَّى اصطدمت بي سيارة مجهولة مطفأة المصابيح ترجل منها شخص أعتقد أن اسمه مهران أصعدني إلى السيارة.. لأفيق لاحقًا على صوت المحامي وسيم وهو يهددني بقتل ابني إن لم أشهد زورًا في المحكمة.

كل ذلك الكلام، وهاشم سارح في خياله لا يُفكر إلّا بأمل.

4

جلس هاشم وحيدًا على أريكة تتوسط الصالة، ومكث يُحاول استيعاب

كم الصدمات التي انهالت عليه:

سرقة ملف حصان نجد، خيانة بلقيس له، واكتشاف أنَّها عميلة متخفية اسمها أفروديت.
مؤامرة محاميه وسيم ضده.

والآن حقيقة أنَّ أمل ليست ابنته الحقيقية.

عند طاولة الطعام القريبة جلس كل من ملك وراما متقابلين يتطلعان إلى هاشم في ترقب وإشفاق، إنهما لا يعرفان كيف يواسيان قلبًا تعرض لكل تلك الطعنات المؤلمة. قال ملك قاطعًا لحظات الصمت يحادث راما:

- هل التدخين مسموح به هنا؟

- لا.

قال وهو يضع سيجارة في فمه:

- تغريني الأشياء الممنوعة أكثر.

- مجنون.

- سأعتبرها مدح.

وبينما هما يجلسان متقابلين حول طاولة الطعام اقترب هاشم منهما، سحب كرسيًّا وجلس.

سألته راما:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

- أعتقد أنَّني سأؤجل حزن اليوم إلى الغد، فهنالك ما يجب أن يتم بأقصى سرعة.

وأضاف بنبرة جادة: اسمعا الخطة..

**

ما إن انتهى هاشم من شرح الخطة لهما حتَّى أخرج ملك من جيبه هاتفًا ذا طراز قديم.

قالت راما معلقة وهي تراه:

- ألم ينقرض هذا الهاتف منذ عهد الجاهلية؟

مَلِك وهو يضغط بعض الأرقام:

- غنمته من إحدى الغزوات.

وضع الهاتف على أذنه وابتعد وهو يحادث شخصًا ما، وحين عاد بعد قليل قال يُخبرهما:

- لنتحرك الآن؛ فقد تم تأمين طريق آمن لنا.

5

قاد هاشم السيارة ملتزمًا بالمسار الآمن الذي تم تحديده لهم، وذلك لتوخي نقاط التفتيش الأمنية التي قد تفاجئهم في الطريق وتعرضهم للقبض. جلس مَلِك إلى جانبه بينما راما في المقعد الخلفي.

وبينما هم في الطريق، قال ملك:

- أحب توثيق اللحظات الجميلة. وأضاف:

- خاصة ونحن متجهون إلى مجهول لا نعلم ما ينتظرنا خلفه.

صمت قليلًا وأخذ يتأمَّل شوارع العاصمة من خلال زجاج النافذة قبل أن يُكمل:

- الصورة هي إلقاء القبض على اللحظة العابرة.

ثم وضع سيجارة بين شفتيه بعد أن أشعلها وأضاف مقترحًا:

- ما رأيكما أن نلتقط صورة للذكرى في هذه اللحظة الجميلة؟!

لم يكن ذلك وقتًا مناسبًا لالتقاط الصورة التذكارية، لذلك صمت الإثنان - هاشم وراما - فاعتبر مَلِك صمتهما ذاك بمثابة الموافقة على اقتراحه فالتفت إلى الخلف وقال:

- هل هاتفكِ يلتقط الصور يا صغيرتي؟!

أومأت برأسها وهي تمدّ إليه هاتفها النقال.. تناول ملك الهاتف ثم بحركة سريعة أنزل زجاج النافذة وقذف به إلى خارج السيارة، شهقت راما بأعلى صوتها:

- هل فقدت عقلك؟!

التفت إليها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مستفزة:

- لا أملك عقلًا بالأساس، هل نسيتِ أنَّني مجنون؟!

بدأ الدّم يتصاعد إلى الأعلى حتى استحال وجهها إلى ما يُشبه البندورة المتورمة وبدت أنها تستعد لقذفه بسلسلة من الشتائم الغاضبة، ممَّا جعل هاشم يتدخل موضحًا:

- الهواتف الحديثة يسهل تعقبها - وأضاف يشرح - لا نريد أن نكون عرضة للتتبع يا راما سواءً من الجهة التي تعمل بلقيس لمصلحتها أو من رجال المباحث، لذلك فعل ملك ما فعله.

لم تستطع راما بعد سماعها السَّبب إلّا القبول بذلك المنطق الأمني السليم.

ثم كما لتروّح عن نفسها الغاضبة قليلًا، أخرجت أحمر الشفاه من حقيبتها وجعلت تُحدد به شفتيها وهي تنظر إلى نفسها من خلال مرآة صغيرة كانت تُمسك بها بواسطة يدها الأخرى.

انتبهت بعد قليل إلى النَّظرات المتسائلة والمتعجبة التي كان يُرسلها ملك - من المقعد الأمامي - نحوها، فقالت وقد توقَّفت عن تحديد شفتيها بقلم أحمر الشفاه:

- لماذا تنظر إليَّ هكذا؟!

وأضافت متسائلة:

- هل يستطيعون تعقبنا بواسطة أحمر الشفاه أيضًا؟!

- لا، ولكنني أتساءل عن ضرورة ما تفعلينه الآن ونحن في طريقنا إلى مغامرة قد لا نعود منها أحياء.

قالت وهي تستأنف وضع الروج على شفتيها:

- إن كان لا بد من الموت، فسأختار أن أموت جميلة.

❃❃

توقفت السيارة أخيرًا بالقرب من مبنى زجاجي مهيب ذي طوابق شاهقة، كان المبنى عبارة عن مكان يضم مقرّات لمؤسسات وشركات متعددة.

همَّ ملك بالترجل من السيارة ولكن هاشم أوقفه:

- لا تؤذه.

- بل الأذية بالأذية، والخيانة بالدم والبادئ أظلم.

- تجاهل، فليس من الحكمة أن تردَّ على كلب نبح في وجهك.

- هنالك نوع من الكلاب البشرية يا هاشم لا يكف أذاه عنك حتى تحذف عليه حذاءك.

تدخلت راما تُذكره بضرورة ضبط النفس في هذه المهمة:

- إننا بحاجة إلى هذا الدليل، فالتزم بالخطة المحددة.

وضع سيجارة بين شفتيه وقال قبل أن يُغلق الباب:

- سأحاول.

❃❃

المبنى الزجاجي

هبط المصعد من الطابق الثالث عشر حتَّى توقَّف في القبو حيث ترتص العديد خلفه من السيارات ذات الطرازات الفارهة.. انفرج باب المصعد ليخرج من خلفه رجل قصير القامة منتفخ البطن يمشي كالبطريق نحو

سيارته الألمانية من طراز مرسيدس.

جلس الرجل خلف المقود واضعًا حقيبته على المقعد المجاور، شغل المحرك ثم تجاوز منطقة القبو إلى البوابة الأمنية التي ما إن شاهد فيها حارس البوابة سيارة المحامي وسيم محسن الجبالي حتى سارع برفع السياج لتعبر السيارة مغادرة قبو المبنى.

واصلت السيارة سيرها في الطريق حتَّى توقَّفت عند الإشارة المرورية وبينما وسيم يتأمَّل الطَّريق برتابة وعقله منشغل ببعض الأمور، إذ أحسر فجأة بجسم بارد يلتصق بطرف عنقه وصوت قوي تفوح منه رائحة السجائر يهمس في أذنه قائلًا:

- كُن مُطيعًا، ولا تخف يا صغيري.

اتسعت عينا المحامي في رعب بينما أكمل الصوت الهامس:

- مع اشتعال الضوء الأخضر، انعطف بشكل عاجل إلى اليمين.

ما كادت الإشارة تتحول إلى اللَّون الأخضر حتّى اندفعت السيارة البيضاء بشكل حادّ إلى الجهة اليُمنى وسط نفير السيارات والشتائم الغاضبة.

قال مَلِك وهو ما يزال يصوب مسدسه نحو عنقه:

- أمامنا طريق طويل، ما رأيك أن نقضي على الملل بأغنية تناسب هذه اللحظة الجميلة؟!

انطلقت سيارة المرسيدس في الطريق السريع، تنبعث منها نغمات أغنية مصرية راقصة.

6

متفاديًا نور الإضاءة الساطع الذي ظهر في وجهه فجأة، أغمض المحامي وسيم محسن الجبالي عينيه بقوة بعد أن نُزع عنه الكيس القماشي الذي كان يُغطي رأسه.. وما إن اعتادت عيناه على الإضاءة اكتشف أنه مُقيد اليدين على مقعد حديدي صدئ داخل مخزن مهجور وأمامه يقف الخاطف منشغلًا بتركيب كاتم الصوت على فوهة مسدسه ويقول:

- توجد أسطورة في الثقافة الأجنبية تقول بأنَّ هنالك نوعًا من البشر يتحولون إلى ذئاب متوحشة عند اكتمال القمر يسمون بالمستذئبين، أمَّا نحن في ثقافتنا العربية فلدينا ما يُسمى بالمستكلبين وهم نوع من البشر يتحولون عند رؤية المال إلى كلاب مسعورة.

أحس المحامي وسيم بخطر الموت ممَّا جعله يُحاول بشكل غريزي تحرير يديه من أصفادهما. اقترب منه مَلِك وجعل يُحدق في وجهه قليلًا قبل أن يُبدي هذه الملاحظة:

- لديك جبهة واسعة، ألم تفكر يومًا باستغلالها في مشروع تجاري؟

- لا أعتقد أنك خطفتني لكي تستثمر في جبهتي.

- معك حق.. ذكرتني.. لقد كُلفت بأن أقتلك.

وهو يبتلع ريقه:

- دعنا نعد لموضوع الجبهة.

- لا تخف، سأقتلك من الطلقة الأولى.

- تمهل - قال وسيم - سأدفع لك أي مبلغ يخطر ببالك.

- لعن الله الراشي والمرتشى.

- اللهم قوي إيمانك!

وضع مَلِك فوهة المسدس على جبينه فصاح وسيم خائفًا:

- لا تُطلق أرجوك، إنني أخاف من الوخز!

- لا تخف يا صغيري؛ فالطلقة التي تقتلك لن تشعر بألمها.

- أخبرني على الأقل لماذا تريد قتلي، فربما يكون هنالك ما أستطيع فعله!

قال ملك مُلقيًا بالطُّعم:

- كُل ما هنالك أنَّ أفروديت لا تحب أن تترك أثرًا خلفها.

كانت تلك الجملة تكفيه لأن يعرف أنَّ المنظمة أرسلته:

- لقد فعلت كل ما طلبوه بالحرف الواحد، حتَّى إنني وافقت على أن أدس لهاشم أقراص شِباك العنكبوت.

قاطعه ملك:

- أقراص ماذا؟

- شباك العنكبوت وهي أحد اختراعات المنظمة.

- وماذا تفعل هذه الأقراص بالضبط؟

- إنه قرص قوي التأثير دسسته لهاشم في كوب الشاي عندما ذهبت لزيارته أول يوم في السجن، يذوب ذلك القرص في المواد السائلة دون أن يترك أثرًا وراءه.

- وما هي نتائجها على من يتناولها؟!

- إنها تجعل من يتناولها في حالة شبه فقدان لإرادته الإيمانية؛ فيصبح من السهل زعزعة ثقته بنفسه وجعله يقتنع بشكل تام بأنَّه ارتكب جريمة لم يرتكبها.

اشتعلت أعماق ملك وهو يسمع ذلك الكلام، ولكن ثباته الانفعالي جعله يُظهر عكس ما يُبطن، فقال وهو يكشف عن ابتسامة زائفة:

- إبليس فخور بك.

- أرجوك لا تقتلني، سأدفع أي مبلغ تطلبه.

- أخبرتك بأنني لا أقبل الرشوة.

- اعتبرها هدية يا أخي، وإنما الأعمال بالنيات.

- حسنًا.. سأعتبرها هدية.. ولكن المنظمة ستعرف أنَّني لم أنفذ مهمتي، وحينها سوف يُرسلون من يقتلك ويقتلني، فكيف سوف نحل هذه المشكلة برأيك؟

التمعت عيناه فرحًا وهو يرى بريق النجاة، وقال:

- لدي العديد من المعارف حول العالم يُمكنهم أن يساعدوني على الاختفاء والحصول على هوية وحياة جديدة؛ وهكذا لن تعرف المنظمة أبدًا أنَّك تخلفت عن أداء مهمتك.

- وكيف أضمن أنك لن تخدعني وتتجه للمنظمة؟

- أعطيك كلمة شرف.

- شكرًا، فلدي ما يكفي من الأحذية.

- ما الذي تريده؟

- أريدك أن تقصَّ عليَّ كل شيء: ارتباطك بالمنظمة، والهدف الذي يسعون

إليه من وراء سرقتهم لملف حصان نجد.. وتفاصيل التهمة التي تم تلفيقها لهاشم.

وأضاف:

- هذه الوثيقة هي الوحيدة التي ستضمن لي عدم غدرك.

- حسنًا – قال وسيم بدون تفكير - سأخبرك عن كل شيء.

أخرج ملك من جيبه جهاز تسجيل صغير قربه من وجه وسيم، ثم أداره على وضعية التسجيل وقال:

- احكي يا شهرزاد.

❃❃

بعيدًا من هناك، وداخل أحد المكاتب الحكومية، كان ثمة رجل يجلس خلف طاولته وقد بدا القلق واضحًا على وجهه، إنه لا يستطيع أن يطرد فكرة أنه كان مشاركًا في هروب السجين رقم "٩٢٦١٤" من سجنه وأنه يتحمل جزءًا كبيرًا من ذلك الضغط الذي تشهده حكومة بلاده الآن.

وبينما هو غارق في لوم نفسه وعتابها إذ ورده اتصال من رقم خاص وما أن ضغط زر الرد ووضع السماعة على أذنه حتى تكلم المتصل قائلا:

- كيف حالك أيُّها المحقق كونان؟!

ثار الضابط نايف غضبًا:

- إن كُنت تعتقد أنَّك ستنجو بفعلتك هذه فأنت مخطئ!

قال هاشم موضحًا:

- حدثت بعض الأمور التي جعلتني أتأخر في التواصل معك، ولكنني أؤكد لك أنَّ هذا التأخير قد جلب الكثير من الغنائم التي لن تخطر على بالك.

- هل توصلت إلى شيء؟

- اذهب إلى مكتبة جرير فرع الدائري الشمالي بحي النفل.. ستجد في المواقف سيارة مرسيدس بيضاء لوحتها "**و س م**".. افتح صندوقها الخلفي وستجد هُناك هدية فاخرة بانتظارك.

- مهلًا - قال الضابط - كيف أتصل بك؟!

هاشم قبل أن يُغلق الخط:

- أنا سأتواصل معك في الوقت المناسب، اذهب إلى حيث طلبت منك بسرعة كي لا يُفسد الحر هديتك.

**

وصل الضابط نايف إلى حيث طلب منه هاشم، وبالفعل كانت هنالك سيارة مرسيدس بيضاء غير مُقفلة الأبواب تتوقف في المواقف السفلية للمكتبة الضخمة.. فتح الضابط نايف صندوق السيارة الخلفي ليتفاجأ بوجود رجل مقيد الفم والأطراف وبجواره جهاز تسجيل صغير.

7

قاعة الاجتماعات الطارئة

عند منتصف النهار "اجتماع الكبار"

داخل أحد المباني التابعة لوزارة الدفاع.. وبعد أن انتهى جميع الضباط والمسؤولين من سماع الحقيقة الكاملة المسجلة بصوت المحامي في جهاز التسجيل الصغير.. ضغط الضابط نايف الأوسي أخيرًا زر إيقاف التشغيل وقال:

- أعتقد أنَّنا فهمنا الآن جميعًا أنَّ قضية هاشم ابن عبد العزيز لم تكن إلّا غطاءً وهميًّا صنعته المنظمة بإتقان لتعمي أبصارنا عن حقيقة سرقتهم للملف.

تحدث اللواء موضحًا حساسية الموقف:

- لو تم تسريب حصان نجد يا سادة فإنها ستكون كارثة كبيرة علينا، لقد قضينا سنوات طويلة في تطوير ودراسة هذا الملف.. ويجب أن نفعل كل ما يتطلبه الأمر لمنع حدوث ذلك.

انبعث صوت آخر من القاعة، صوت وقور لرجل كان يرتدي ملابس مدنية، تعلوه هيبة واضحة وقد كان من الواضح أنَّه الشخص الذي يترأس الاجتماع:

- مهمتنا الآن لا تقتصر فقط على التعامل مع الحصان أيُّها السادة، بل

علينا أيضًا أن نجعل من هذه المنظمة عبرة لكل من تسوّل له نفسه العبث بأمن بلادنا، وأي قرار يتم اتخاذه الآن فإنه يجب أن يُنفذ بأقصى سرعة وقوة وحزم.

وأضاف وهو يلتفت نحو اللواء:

- ما هي المعلومات التي لدينا إلى الآن حول هذه المسألة؟

- حتى الآن لا نملك معلومات كافية عن هوية المنظمة.. كل ما نعرفه حتى هذه اللحظة فقط هو أنها تُدعى "منظمة التاج الأزرق".. وأنهم يسعون إلى بيع نسخة الملف التي سرقوها في مزاد سري سوف يقام خلال الثماني والأربعين ساعة القادمة.

- وهل توصلنا إلى موقع المزاد؟

- إنَّ المعلومات الأولية لدينا تُشير إلى أنَّ مقر المزاد سيقام في منطقة (بئر طويل) يا معالي الوزير.

وأضاف اللواء يشرح حول تلك المنطقة قائلًا:

- بئر طويل ولأسباب تاريخية لا تخفى عليكم، هي المنطقة الوحيدة في العالم التي لا تخضع لسُلطة أي حكومة ولذلك تستطيع العصابات والمنظمات العالمية الكُبرى ممارسة أنشطتها الإجرامية فيها دون رقابة أو مضايقة.

- وما هي الحلول المقترحة للخروج من هذه الأزمة؟

- لتجاوز هذه المسألة كان أمامنا عدّة سيناريوهات يا معالي الوزير، أحدها هو استهداف موقع المزاد بقصف تكتيكي يتم عبر طائرة مسيرة أو صاروخ موجه.

وأضاف اللواء يشرح عيوب هذا السيناريو:

- ولكن هذا التحرك سوف يجعل أنظار العالم تتجه نحونا ممَّا قد يضطرنا

للتبرير وبالتالي تعريض حصان نجد إلى الكشف؛ وهذا ما لا نريده أن يحدث.

أومأ الوزير برأسه متفهمًا وقال:

- ما هو السيناريو الآخر؟

اللواء:

- السيناريو الثاني كان عبارة عن اجتياح المنطقة عبر إرسال وحدة عسكرية مدربة للتعامل مع مثل هذه الأزمات، ولكن لا يخفى على معاليكم أنَّ مثل هذه المزادات الخاصة قد يحضرها في الخفاء شخصيات رسمية وهامة على مستوى العالم.. إن مقتل أحدهم أو تأذيه أثناء الاشتباك العسكري سيدخلنا في أزمة دبلوماسية قد نضطر في سبيل الخروج منها إلى كشف النقاب عمَّا سُرق منَّا.

- لا بد أن لديكم حلًّا يعفينا من كل هذه المخاطر، أليس كذلك؟

- لدينا مقترح جريء يا معالي الوزير.

- لهجتك لا تُبشر بالخير، ولكنني أتوق لمعرفة هذا المقترح الجريء.

أشار اللواء في رصانة، نحو شخص ما وقال:

- أُفضل أن نسمع المقترح بواسطة صاحبه.

اتجهت الأنظار جميعها نحو الضابط نايف الأوسي الذي نهض من مقعده وبدأ يقول:

- المقترح يعتمد على إرسال شخص محترف قادر على التعامل مع مثل هذه المواقف الخطيرة، ولديه الخبرة الكافية للتنكر والتسلل إلى موقع المزاد والتصرف حسب ما يقتضيه الموقف لإتمام المهمة.

لم يجد الوزير في ذلك المقترح أي نوع من الخلل.. بل على العكس تمامًا:

- اقتراح ممتاز، لا أرى فيه سببًا يدفعني إلى الممانعة.

تبادل اللواء النَّظرات مع الضابط نايف الأوسي وكأنَّه بذلك يُعطيه إشارة إلقاء الخبر الصادم للمعالي، قال الضابط نايف كاشفًا النقاب عن تتمة المقترح:

- المقترح يقتضي بتكليف هاشم ابن عبد العزيز للقيام بهذه المهمة.

اتسعت عينا الوزير لبرهة من الزمن قبل أن يقول بصرامة لا تقبل النقاش:

- براءة هاشم من تهمة القتل لا تعفيه من جريمة الهرب من السجن.

وعندما صمت الجميع ولم يدر أحد منهم كيفية الرد على تلك العبارة، فإن الضابط نايف قال في جسارة وحذر:

- ولكنه لو لم يهرب من السجن لما تمكن من إثبات براءته.

بدا وكأن تلك العبارة قد ألقت بظلالها على غضب الوزير ولكنه ظلَّ متمسكًا برأيه:

- جدوا شخصًا آخر.

الضابط نايف الأوسي يُدرك أن الوزير معه حق، فحتى وإن كان هاشم بريئًا من تهمة القتل المنسوبة إليه إلّا أنَّ هذا لا يمنحه الحق في الهرب من السجن.

ورغم ذلك لم يكن أمامهم إلّا حل واحد، وهذا ما دفع الضابط نايف الأوسي لأن يقاتل من أجل منح الفرصة للشخص المناسب:

- لو أردنا تكليف شخص آخر بالقيام بهذه المهمة، فذلك يتطلب منا عرض جميع المعلومات عليه واطلاعه على كامل التفاصيل وهذا سوف يستغرق منا وقتًا لا نملكه.

وصمت قليلًا قبل أن يُضيف بلهجة آملة راجية:

- هاشم هو الشخص الأنسب لهذه المهمة، والأمر متروك لقراركم.

انتقام الشبح

1

زهرة البئر السوداء

فتاة بارعة الحُسن شعرها مُنسدل على كتفيها ويمتزج بطريقة فاتنة الفستان الأنيق والطويل الذي يبرز تفاصيل جسدها الدقيقة، كانت مع الفتاة داخل مكتب المراقبة تقف خلف واجهة زجاجية تُطل على قاعة فسيحة:

سقفها أسود عالٍ تتخلله ومضات متتالية كأنها نجوم متوهجة، وقد زُين منظر السقف بثريا ضخمة تُشبه اكتمال القمر.. أما الأرضية فقد فُرشت برخام لامع برَّاق.. والحيطان كُسيت بقطع صغيرة من الفُسيفساء الملونة؛ فبدا منظر المكان فاتنًا مَهيبًا وقد تناغم فيه الطراز الأوربي والأندلسي معًا.

انفرج باب مكتب الأمن ليعبره شاب متوسط العمر، يُميّزه وشم صغير لرمز الدولار أسفل عينه اليسرى كان الشاب يرتدي حُلة فاخرة ويتجه نحو الفتاة:

- كل شيء تم إعداده كما طلبتِ يا سيدة أفروديت.

- جيد، وهل تأكدت من دخول جميع أفراد فرقة الحراسة الإضافية يا توماس؟!

- لقد أشرفتُ بنفسي على دخولهم، ولكنني لم أفهم سر زيادة الحراسة بهذا الشكل الكثيف.

أرسلت إليه نظرة شزراء قبل أن تقول موبخة:

- تذكر أن اختيارنا وقع على استئجار قاعة زهرة البئر السوداء لما نعرفه عن احترافية موظفيها، وهذه الاحترافية تقتضي عدم التدخل في شؤوننا الخاصة.

- آسف، لم أكن أقصد.

لم تقبل اعتذاره وأكملت توبخه بقسوة:

- هذه عملية تحتاج إلى ترتيبات خاصة يُمنع فيها كثرة الكلام والأسئلة؛ فالمنظمة تتوقع أن تصل تقديرات المزاد إلى ما يتجاوز تسعة أصفار.. وهذا الأمر سيصبُّ في مصلحة قاعتك ومُلّاكها؛ فعمولتكم بالتأكيد سوف تتضاعف ازدياد مبيعاتنا.. تقرير واحد فقط أرفعه مع لأسياد المنظمة سيكون كفيلًا بأن يقرروا عدم التعامل معكم مرة أخرى؛ لذلك أرجو أن تُبقي أنفك في مكانه يا توماس وألا تقحمه فيما لا يعنيك في المرة القادمة.

- كما تشائين يا سيدتي. وأضاف منحنيًا قبل أن يغادر:

- أكرِّر لكِ أسفي مرة أخرى يا سيده أفروديت.

بعد مغادرته بلحظات جاءها اتصال من أحد أفراد المنظمة، قالت وهي تجيب:

- ماذا هناك؟!

- افتحي قناة الحدث الآن.

ما أن أدارت أفروديت التردد على القناة حتى قرأت على شريط الأخبار العاجلة خبرًا يؤكد قيام السلطات السعودية قبل لحظات بتنفيذ حكم الإعدام بحق هاشم ابن عبد العزيز.

ومع أنها كانت تعلم مسبقًا بأنهم سوف ينفذون فيه حكم القصاص، إلا أن رؤيتها لذلك لخبر قد حركت فيها مشاعر كانت لا تعرف مسبقًا بوجودها.

جلست أفروديت على الأريكة، وبدأت تشعر بطعم مالح غريب يتسرب إلى فمها، كانت تلك هي المرة الأولى في حياتها التي تتذوق فيها طعم الدموع الحقيقية الصادقة المتسربة من أعماقها الإنسانية، وتساءلت في لحظة عابرة: **هل تكون قد تجاوزت احترافيتها هذه المرة ووقعت في حُب طريدتها؟!.. هل أحبت**

هاشم بالفعل؟!.. إنها لا تعرف الإجابة الصحيحة ولكن ربما الأيام تخبرها بالحقيقة.

وكادت أفروديت في لحظة ضعف أن تستسلم للذكريات الجميلة لكنها سارعت بمسح دموعها ثم ابتسمت في عبث وهي تقول بصوت مسموع:

- سأتذكرك دائمًا يا هاشم.

**

ما إن غادر توماس باب مكتب الأمن وسار بضع خطوات مبتعدًا هناك حتى اقترب منه مساعده الخاص، ومدَّ إليه بطريقة خاطفة ورقة صغيرة..

التقطها توماس منه بشكل سريع، ثم واصل تقدمه حتى وصل إلى نقطة يُدرك فيها بخبرته أن كاميرات القاعة لا تغطيها.

حتى من فتح توماس تلك الورقة على عجل وما إن قرأ ما كان مكتوبًا فيها التمعت عيناه مكرًا.. أدار بصره فيما حوله.. وعندما تأكد أن أحدًا لم يره قرر أن يترك لجهازه الهضمي مهمة إتلاف الورقة؛ فبلعها ثم عاد يكمل طريقه وكأن شيئًا لم يكن.

2

مع حلول المساء، توقفت سيارة من طراز متداول أمام عمارة بسيطة تقع في أحد أحياء وسط العاصمة، ترجل منها الضابط نايف الأوسي، وما إن عبر مدخل العمارة حتى أحس بشعور غريب يُداهمه وكأنما أحس بأن هنالك عينا ترصده في الظلام.

توقف مكانه وأدار بصره في حذر بينما يده تدخل إلى جيبه لتتحسس مقبض مسدسه الرسمي، وعند تلك اللحظة المتوترة انبعث صوت من مدخل العمارة يقول له:

- ليس هكذا تكون الضيافة أيها المحقق كونان.

ابتسم الضابط وقد ارتخت أصابعه عن مقبض المسدس:

- ليس هكذا يدخل الضيوف يا توغو موري.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يبادله فيها الدعابة؛ مما دفع هاشم لأن يقترب منه وقد علت شفتيه ابتسامة صادقة، تصافح الاثنان، وتكلم الضابط قائلًا:

- لقد أرسلنا إلى أختك من يخبرها أن خبر موتك كان مزيفًا.

- عندما رأيتُ خبر موتي في شريط الأخبار؛ أدركت كم هو جيّد ألّا يكون للمرء كثير من الأحباب.

- لقد قمتَ بعمل رائع يا هاشم؛ فقد كانت اعترافات المحامي الفاسد مُفيدة.. ولكنني أعترف لك أيضًا بأنني لم أصدقك في السجن ذلك اليوم.

- ما الذي دفعك إذًا لأن تتساهل معي في الهرب؟

- سأخبرك، ولكن دعنا نُكمل حديثنا داخل المنزل.

- هل تتسع ضيافتك لشخصين آخرين؟!

**

كان أثاث منزله بسيطًا ولكنه لا يخلو من أناقة واضحة، جلس الأربعة في الصالة وعلامات التوتر تسود الجلسة، كان هاشم يُدرك سبب ذلك التوتر: فليس من السهل على الضابط نايف أن يستضيف بمنزله شخصًا له سجل حافل بالإجرام مثل (مَلِك) فقال ليُخفف من . التوتر :

- ولكنك لم تخبرني عن السبب الذي دفعك لأن تتساهل معي الحروب من السجن على الرغم من عدم تصديقك لكلامي.

نجحت خطة هاشم في التخفيف من حدة الموقف الصعب، التفت الضابط نايف نحوه وقال يطرح سؤالًا جادًّا بُغية التمهيد لكلام فلسفي قادم:

- أتعلم ما هو الفرق بين ضابط الشرطة والمحقق؟

كاد أن يُكمل ولكن مَلِك تدخل في غير أوانه:

- المحقق يُحقق، والشرطي يُشرطط.

همست راما وهي تلكزه بكوعها:

- سأشرطط فمك إن لم تسكت. وأضافت وكأنها تنقذ الموقف:

- أخبرنا عن الفرق بينهما يا حضرة الضابط.

منحها الضابط ابتسامة هادئة وكأنما يشكرها وأكمل قائلًا:

- الشرطي يتبع دائمًا الأدلة والقرائن وما يظهر واضحًا في مسرح الجريمة.

تساءلت راما:

- أليس هذا ما يفعله المحقق أيضًا؟!

- نعم هو يعتمد على كل تلك الأمور، لكنه يضيف إليها شعورًا آخر.

وأردف الضابط وهو يضع يده عند موضع قلبه ويُخبرهم بحماس عن الأمر الذي يُميز المحقق من وجهة نظره عن الشرطي، ويكشف لهم السبب الذي دفعه للتهاون مع هاشم في عملية الهروب من السجن:

- إنه انقباض غريب يأتي فجأة في القلب ويُسيطر على جميع الحواس ليخبر صاحبه بأن الأمور ليست في مكانها الصحيح، وهذا الشيء يُدعى الحدس.

مَلِك وهو يحاول الاندماج مع حديث الضابط:

- أنصحك بأن ترى طبيبًا متخصصًا في أمراض القلب.

لكزته راما بكوعها مجددًا، ثم أردفت تقول لتشتيت أثر تلك المداخلة الغبية:

- أهناك مستجدات فيما يخصنا يا حضرة الضابط؟!

- نعم. قال ذلك ثم أضاف، وهو يغادر: سأعود بعد لحظات.

التفتت راما بعد مغادرته نحو مَلِك، وقالت هامسة:

- ألم نطلب منك أن تصمت نهائيًّا؟!

- الرجل يقول بأن هنالك انقباضًا يأتيه في قلبه اسمه العدس فنصحته بزيارة الطبيب.

- أولًا اسمه الحدس وليس العدس، ثانيًا إن كان هنالك من يجب عليه زيارة الطبيب هنا فهو أنت.

- اصمتا أنتما الاثنان – قال هاشم متدخلًا – قبل أن يطردنا الضابط من

منزله.

في تلك اللحظة عاد الضابط نايف مُمسكًا بظرف خاص بيده:

- لقد استغرق الأمر جهدًا كبيرًا، ولكنه كان يستحق ذلك العناء المبذول.

ثم أضاف وهو يمد الظرف إلى هاشم:

- لقد نصَّت أوامر السُّلطات العُليا على تكليفك بالمهمة.

سعادة غامرة أحاطت بهاشم وهو يفتح الظرف ويقرأ ما جاء بداخله، كان القرار يُسقط عنه تُهمة قتله القناص ويُسند إليه رسميًّا مهمة التعامل مع ملف حِصان نجد.

مَلِك:

- وكم ستدفعون لنا؟

يلتفت الضابط نحوه وقد فاض به الكيل:

- ومن قال لك بأنك سوف تشارك أصلًا في هذه العملية؟

- ولماذا لا أشارك؟!!

الضابط مبررًا:

- هل نسيت أنك مخالف للقانون؟!

- لا تقلها بهذه الطريقة الباردة؛ إنك بهذه النبرة تحط من قدري وتجعلني أبدو سخيفًا كمن ارتكب مخالفة مرورية.. قُلها بطريقة محترمة يا حضرة الضابط. **«فأنا مُجرم وسفاح وقاتل ولا أمتثل إلا لسُلطة وقانوني الخاص ك.. ولكن عندما يتعلق الأمر بشأن هذا البلد فإنني مستعد لأن أفديه بأبي وأمي وروحي ودمي».**

اقشعر جسد الضابط نايف لتلك الكلمات الصادقة وكأن فوجًا من الأشواك الحادة قد انغرست بجسده دفعة واحد.

قال هاشم متدخلًا:

- اللحظات الاستثنائية تتطلب قرارات استثنائية، وأنا أريد كلًّا من مَلِك وراما أن يكونا معي في هذه المهمة.

- وماذا سأقول للمسؤولين عندما يشاهدون عبد المَلِك برفقتك؟!

قالت راما مقترحة:

- أخبرهم أنه ابن خالتنا.

- هذه مهمة عسكرية وليست رحلة إلى موسم الرياض!!!

وأضاف الضابط نايف برصانة يشرح لهما حساسية الموقف:

- سوف تُدار هذه العملية عبر غرفة تحكم خاصة بالحكومة السعودية، وسوف يتم نقلكم إلى بئر طويل عبر طائرة عسكرية ستُقلع من إحدى القواعد السريّة.. عبد المَلِك شخص مطلوب لدى أكثر من جهة أمنية حول العالم؛ لذلك سيتم القبض عليه ما إن تطأ قدمه أرض القاعدة العسكرية.

إن طبيعة البشر السطحية تجعلهم لا يكترثون بمدى عمق الآخرين، قليلون فقط هُم أولئك الذين يُجيدون النظر إلى الأعماق، أما الأكثر فإنهم يطلقون أحكامهم على ما يُشاهدونه على السطح فقط.

وفي الحقيقة لا أحد – إلا القليل – كان يُدرك الحقيقة الكامنة وراء قصة عبد المَلِك.. والأسباب التي جعلته مجرمًا.. قليلون فقط هُم أولئك الذين يعرفون السر المُخيف الذي يحمله ذلك الإنسان كجبل على صدره.

لقد كُسر خاطر مَلِك، وأحس بغصّة من الدموع تتكور في حلقه مثل كورة من الشوك وعبرت ذقنه رجفة تشبه رجفة ما قبل البكاء.. ولكن كبرياءه

جعله يتظاهر بعكس ذلك.. فارتسمت على ملامحه ابتسامة توحي بعدم اكتراثه بشيء، قال وهو يتجه نحو الباب مغادرًا:

- إذًا عند هذه المحطة تفترق طرقاتنا.

كان هاشم أحد القلائل الذين يعرفون قصة مَلِك الحقيقية؛ تلك القصة التي جعلت منه خارجًا عن القانون ومُلاحقًا من قِبل أجهزة العالم الأمنية:

- آسف يا مَلِك.

مَلِك وهو يُكمل طريقه نحو الباب:

- لا تعتذر؛ فالأصدقاء ليسوا بحاجة للاعتذار.

- شكرًا على كل شيء فعلته من أجلي.

أدار مَلِك قبضة الباب ثم ابتسم كاشفًا عن أسنان بيضاء بينها سِنّة واحدة مميزة وقال:

- وليسوا بحاجة للشكر أيضا.

عبر مَلِك الباب إلى الخارج، ولكنه قبل أن يغادر مدخل العمارة سمع وقع خطوات تسير خلفه، فسارع بمسح دمعة فرت من عينه.. التفت إلى الوراء بوجهه الساخر المعتاد وقال:

- هل اشتقتِ إليَّ بهذه السرعة يا صغيرتي؟

- صحيح أنك مجنون -قالت راما ذلك وأضافت:

- وصحيح أيضًا أن جنونك هذا يرفع ضغطي ويجعلني أرغب بتحطيم رأسك في كثير من الأحيان، لكنني رغم كل شيء تمنيت لو أننا أكملنا الطريق معًا.

اقترب منها مَلِك، قال وهو يمد إليها شيئًا:

- قاتلي به – وأضاف – هذا المسدس سوف ينوب عني.

أمسكت راما بالمسدس الكبير الأسود والذي يُميزه مقبض خشبي منقوش عليه هذه الكلمة:

مَلِك

1.1.2.1

- أعدك أن أفعل.

ثم وبينما هي ما تزال متأثرة من أجله قالت:

- هل هناك شيء آخر أستطيع أن أفعله من أجلك؟

- هل سمعتِ عن الحب من أول نظرة يا راما؟!

أومأت برأسها؛ فقال:

- لقد كرهتكِ من أول نظرة، ولكنك الآن بمثابة الأخت لي؛ لذلك أريد تحذيركِ من المكان الذي ستذهبون إليه.

ثبتت مسدسه على حزامها وقالت:

- أسمعك.

اشعل مَلِك سيجارة وضعها بين شفتيه، وقال مُحذرًا:

- إن المكان الذي ستذهبون إليه يا راما يعجُّ بالذئاب والحيوانات المفترسة.. أتعلمين كيف تتصرفين عندما تجدين نفسكِ مقابل ذئب جائع؟

- لا – قالت باهتمام – أخبرني كيف أتصرف؟

- إياك أن تديري له ظهرك وتركضي من أمامه؛ فالحيوان المفترس حينها

سوف يُدرك غريزيًا أنك وجبة محتملة وسيبدأ بمطاردتك.

- ماذا أفعل إذًا؟

- ابقي ثابتة، ولا تتحركي.

- وهل سأنجو بهذه الطريقة؟

- لا ولكنكِ ستموتين وأنتِ مرتاحة؛ فالذئب سيكون أسرع منكِ بالتأكيد.

وبينما ما تزال مندهشة من تلك النصيحة السيئة، استدار مَلِك مغادرًا مدخل العمارة وضحكاته تتخلل سحب الدخان الخارجة من فمه.

3

القاعدة العسكرية

ليلًا:

هبطت الطائرة المروحية في المنطقة المخصصة لها أمام بوابة قاعدة المهد العسكرية الواقعة جنوب المدينة المنورة، ترجل من الطائرة كل من هاشم وراما التي كانت تُمسك في يدها بحقيبة كبيرة بعض الشيء تُشبه حقائب السفر تظهر عليها علامة ماركة شهيرة.

اتجه الاثنان نحو بوابة القاعدة العسكرية حيث كان في استقبالهما هناك ضابط يرتدي زيَّ الصاعقة السعودي:

- أقدم لكما نفسي: أنا المقدم ناصر الفرَّاد المسؤول عن العملية اللوجستية الخاصة بهذه المهمة - ثم أضاف على عجل وهو يومئ لهما إلى داخل القاعدة:

- اتبعاني من فضلكما.

داخل غرفة العمليات والتخطيط

قام الضابط ناصر الفرَّاد بعرض خارطة لمصر والسودان فوق طاولة خشبية تنتصب داخل غرفة العمليات والتخطيط، أشار بإصبعه نحو منطقة محددة بين الدولتين وقال:

- هذه منطقة بئر طويل كما تعرفان.

ثم أردف وهو يُزيح إصبعه نحو الأعلى قليلاً:

- سوف يتم الإنزال عبر طائرة السلاح داخل الحدود المصرية؛ حيث قمنا بالتنسيق مع الجهاز الأمني المصري ليتم استقبالكما عند هذه النقطة والتكفل بتهريبكما إلى داخل البئر.

- نظر الضابط ناصر إليهما وقال متسائلًا:

- هل هناك أي أسئلة حول الخطة حتى هذه اللحظة؟!

- أعتقد أن الأمور واضحة - قالت، راما، وأضافت: متى ننطلق؟

قال وهو يُشير بيده خلفهما:

- سوف تنطلقان بعد أن يُنهي البروفيسور كلامه معكما.

عندما التفتا إلى الخلف شاهدا البروفيسور عادل العادل يقترب منهما، ولأن هاشم كان قادمًا من المستقبل فإنه كان يعرف ذلك البروفيسور حق المعرفة، ولكن – في هذه الفترة الزمنية – وبالنسبة إلى البروفيسور كان هذا اللقاء يُعد هو لقاءه الأول بهاشم.

جاء البروفيسور عادل وهو يُمسك في يده بصندوق صغير صُنع من مادة التيتانيوم، قال يفتتح كلامه قبل أن يكشف لهما عمّا بداخل الصندوق:

- المهم هو تدمير نسخة الملف التي يملكونها، واعتراض خطتهم في بيعها.

ثم أضاف وهو يفتح الصندوق، ويخرج منه شريحة صغيرة لاصقة وشفافة:

- هذه الشريحة مزودة بموجة كهرومغناطيسية حارقة قوية التأثير، قادرة على تدمير محتويات الملف بالكامل وتحويله إلى مجرد ملف فارغ، ولكن لتحقيق ذلك هنالك شرطان.

وقال يُخبرهما بأهم شرطين لتفعيل الشريحة:

- يجب أن تقترب الشريحة بقدر ما يُقارب المتر من الملف، وأن تبقى بالقرب منه لمدة ثلاث دقائق على الأقل، تذكرا ذلك جيدًا متر وثلاث دقائق.

أن أخبرهما عن كيفية عمل الشريحة، عادت الكلمة إلى الضابط وبعد ناصر حيث قال:

- تمكنا من خلال المعلومات التي وردتنا من داخل منطقة بئر طويل، من رسم صورة مبدئية للقاعة التي سيُقام فيها المزاد – ثم أضاف قائلًا وهو يمدد خريطة أخرى فوق الطاولة:

- يتخذ المبنى كما تشاهدان شكلًا هندسيًّا يُشبه الزهرة الضخمة؛ ولذلك فإنهم يُطلقون عليه اسم (زهرة البئر السوداء).

هاشم معلقًا وهو ينظر إلى الرسم الهندسي:

- لا بد أن مكاناً كهذا يضج بالعديد من الحراسات وكاميرات المراقبة.

- وهذا هو الجزء الصعب؛ فالوقت الذي لدينا لم يكن كافيًا لجمع المعلومات الوافية.. ورغم ذلك سنحاول بكل الطرق أن نزودكما ببعض التسهيلات وأنتما هناك.

- وكيف سيتم الاتصال بيننا ونحن هناك؟!

- عند وصولك لبئر طويل اذهب إلى منطقة السوق، وهناك سنجد طريقة لتزويدكما بموارد الدخول إلى المزاد ؛ وعندما تصبحان داخل المزاد سوف يكون عليكما أن تتصرفا وحدكما وفق المعطيات على أرض الواقع لتدمير الملف.

**

سار الأربعة بعد ذلك نحو طائرة السلاح الجاثمة في ثكنتها والمزينة عند ذيلها بشعار السيفين والنخلة.. قال الضابط ناصر وهو يشير بيده نحو

الطائرة:

- هذه الطائرة اسمها "**الباز واحد**" وقد صُنعت في المصانع العسكرية السعودية، وهي التي ستتكفل بالتحليق بكما في هذه المهمة وإيصالكما إلى نقطة الإنزال.

ومع انتهاء جملته تلك فُتح باب الشحن الخلفي للطائرة؛ فأشار نحو مدرج الصعود وهو يقول: لقد حان موعد إقلاعكما.

**

في تلك اللحظة ندَّ عن هاشم تصرف غريب لم يفهمه أحد؛ إذ أنه البروفيسور عادل العادل ووضع قُبلة على جبينه ثم ابتسم في اقترب من وجهه وقال:

- إلى اللقاء، أيها الصديق القديم.

بعد ابتعاد هاشم من هناك مال البروفيسور عادل نحو الضابط ناصر وهمس له قائلًا:

- هل تأكدتم من سلامته العقلية؟

لم تصل تلك الكلمات إلى مسامع هاشم ولكنه كان يعرف أن صديقه سيقول ذلك؛ فتوقف قبل أن يصعد إلى طائرة السلاح، التفت نحو الخلف وقال:

- اطمئن فأنا لستُ مجنوناً - وأضاف قائلًا: لكن والله إنني أحبك.

ابتسم البروفيسور عادل وهو يرى ذلك المجنون، وداهمه شعور غامض يُخبره أن ذلك الشاب لو عاد من المهمة بنجاح فإن علاقة من الصداقة المتينة قد تجمعهما مستقبلًا.

**

ارتدى كلٌّ من هاشم وراما لباسًا عسكريًّا أسود خاصًّا بالمهمة، ثم صعدا إلى طائرة السلاح وراما ما تزال تحمل في يدها حقيبتها ذات الماركة الشهيرة.. كان في استقبالهما داخل القُمرة كل من قائد الطائرة ومعه مساعدته الخاصة وقد ساعداهما في الجلوس على المقاعد المخصصة وربط أحزمة الأمان.

لم تمضِ دقائق يسيرة بعد ذلك حتى بدأ هدير محرك طائرة الباز واحد بالتصاعد تدريجيًّا.. وبدأت المراوح الأربع السوداء بالدوران استعدادًا للإقلاع.

ومع اندفاع عجلات الطائرة وبداية تقدمها ببطء على مدرج الإقلاع، التفت هاشم وراما من خلال النافذة فشاهدا جميع من في القاعدة وهم يُقدمون إليهما التحية العسكرية.

تمتم الضابط ناصر وهو يرى طائرة الباز واحد تُقلع إلى السماء:

- في رعاية الله أيها الأبطال.

4

ألف قدم،
فوق مياه البحر الأحمر.

حلقت طائرة "**الباز واحد**" بارتفاع منخفض لتجنب رصد الرادار، كانت المياه السوداء للبحر تعكس بريق نصف القمر:

فكان سواد الفجر ونصف القمر.. والبحر الهادئ وطائرة السلاح السرية، كل تلك العناصر التكوينية تجعل المنظر من بعيد أشبه بلوحة فاتنة صنعها رسّام ساحر.

تساءلت راما بعد مرور بعض الوقت:

- ألستَ خائفًا؟

- من الطبيعي أن يكون هنالك قلق وتوتر؛ فمهما كانت استعداداتنا عالية فنحن لا نعلم ما الذي ينتظرنا هناك من مفاجآت لا تخطر على البال.

- لستُ أسألك عن هذا.

التفت إليها مستفهمًا، فقالت: ألست خائفا من لقائك ببلقيس؟

صمت ولم يعلق، ودار في نفسه هذا الحديث:

نعم بلقيس خائنة والموت هو أقل ما تستحقه، ولكن معضلة الإنسان الحقيقية هو أنه لا يملك ترف أجهزة الكمبيوتر؛ إنه لا يستطيع تحديد ما يشاء من المشاعر

والذكريات المخزنة في ذاكرته ويُرسلها بضغطة زر إلى سلة المُهملات، وهذا ما يُفسر مشاعر الحُب التي قد يحملها بعض البشر نحو أشخاص قد تسببوا لهم يوما في أذية كبيرة؛ فتلك أمور قلبية لا سُلطة للعقل أو المنطق عليها.

**

- بقي خمس عشرة دقيقة للوصول إلى نقطة الإنزال.

تلا ذلك الإعلان الذي أذاعه قائد طائرة السلاح عبر مكبرات الصوت الداخلية للقُمرة مجيء مساعدته وهي تحمل بين يديها حقيبتي ظهر خاصتين وتقدمهما إليهما:

- ارتديا هذه - وأضافت وهي تهمُّ بالمغادرة:

- سوف أعود بعد لحظات لأعطيكما تعليمات القفز المظلي.

وقبل أن يبدأ هاشم بوضع الحقيبة على ظهره لاحظ ذلك الشرود الغريب الذي كان على راما وهي تحدق إلى حقيبة القفز المظلي بين يديها؛ فسألها:

- ما الأمر؟!

- إنها المرة الأولى التي أرى فيها حقيبة مظلية بشكل مباشر.

- ولماذا لم تذكري هذه المعلومة من قبل؟!

- خفت أن يتم استبعادي من المهمة.

قالت هذه العبارة بلهجة مليئة بالارتباك والتوتر جعلت هاشم يتطلع إليها بنظرة مختلفة ذكرته بأمل؛ وهذا ما جعل أعماق ذلك الرجل تتحرك بشهامة تلقائية لإنقاذها من الموقف المحرج؛ فالتفت نحو مساعدة القائد وقال:

- سوف نقفز أنا وراما في مظلة واحدة؛ فتصبح فرصتنا أكبر في تضليل

الرادار إن وُجد.

أومأت مساعدة قائد الطائرة برأسها متفهمة واندفعت إلى جانب المقصورة لتجلب مظلة أكبر بينما راما تمنح هاشم نظرة امتنان مع ابتسامة صافية:

- شكرًا لك.

- لا عليكِ؛ فهذا ما كنتِ ستفعلينه لو أننا تبادلنا الأدوار.

أحكم هاشم رباط المظلة حول خصره وفخذيه، وراما أمامه مباشرة تقوم بوضع حبال الحقيبة الإضافية حول جسدها، ومع انتهائهما من ذلك جاءت مساعدة القائد:

- لقد وصلنا إلى نقطة الإنزال هل أنتما جاهزان للقفز؟

أومأ هاشم لها بتمام جاهزيته بينما أمسكت راما في يدها بالحقيبة ذات الماركة الشهيرة وأومأت برأسها على تمام جاهزيتها أيضًا، وعند تلقي مساعدة القائد تلك الإشارة فتحت لهما بوابة الشحن الخلفية للطائرة لتندفع الرياح إلى داخل القُمرة نتيجة اختلاف الضغط.

قالت تتلو تعليمات الأمان:

- عند وصولك إلى الرقم عشرين.. اسحب الذراع الأيسر للمظلة، وفي حالة عدم استجابة المظلة الأساسية للأمر.. اسحب الطوق البرتقالي لإطلاق المظلة الاحتياطية، هل هذا مفهوم؟

أومأ لها هاشم بيده، وما كاد أن يفعل ذلك حتى اشتعل الضوء الأحمر لبوابة الباز واحد آذنًا بالقفز؛ فقامت المساعدة بدفعهما من أكتافهما نحو بوابة الطائرة وهي تصرخ بصوت حماسي أثار في نفسيهما مزيدًا من روح التحدي:

- على بركة الله، رافقتكما السلامة.

5

ارتطم الهواء بوجه راما بشكل عنيف نتيجة الهبوط من حالق بسرعة هائلة..

لكن وجود هاشم خلفها جعلها تشعر بالأمان خاصة عندما بدأ يُحرك يديه عبر فرد ذراع وطي الأخرى؛ ليوازن هبوطهما في الهواء وكأنه طائر أسطوري يستعد للهبوط إلى نقطة أرضية محددة.

استمر هذا الوضع. – وضع الهبوط الحر – لوقت قصير قبل أن تبدأ راما بالرغم من عزيف الرياح العاتية بسماع هاشم وهو يوشك أن يُنهي العد:

سبعة عشر.. ثمانية عشر.. تسعة عشر..

ومع نطقه للعد "عشرون" سحب حبل الإطلاق الأساسي للحقيبة، لتندفع المظلة التي أحدثت لهما كبحًا مفاجئًا ما إن امتلأ جوفها الواسع بالهواء.

بدأت الرؤية تستقر – بعد تجاوزهما للغيوم الكثيفة – وبدا المنظر أسفلهما مغمورًا بضوء الشروق الممتزج بلون الرمال المصرية.. وما إن اقتربا من الوصول حتى ثنى هاشم قدميه وهو يوازن حبال تحكم المظلة ليجعل هبوطه ناعمًا أكبر قدر من الإمكان فلا تتأذى راما بصدمة الوصول إلى الأرض.

وما إن هبطا بأمان واستقرا على الأرض حتى سارع هاشم بتناول سكينة من غِمد مُثبت في جانب حذائه العسكري قطع به حبال الحقيبة عن جسده وجسد راما.

وبعد أن تأكد أن أحدًا لم يرصد هبوطهما، بدأ يتحرك ومعه من راما مستعينا بالبوصلة قاصدًا جهة الجنوب الشرقي، وما إن سارا قليلًا فوق كثيب الرمل الحارق حتى قالت راما:

- لقد أوشك كتفي أن يسقط من مكانه - وأضافت وهي تشير إلى الحقيبة ذات الماركة الشهيرة:

- هل تستطيع حملها عني لبعض الوقت؟

لم يكن ليسألها عن محتوى تلك الحقيبة ولكنه حين حملها وجدها ثقيلة بعض الشيء:

- ماذا يوجد بداخل هذه الحقيبة يا ترى؟

- بعض الغيارات؛ بالإضافة إلى بعض كريمات الحماية وأدوات التجميل.

- هل أخبركِ أحد أننا ذاهبان في رحلة برية؟

- أعلم أننا بصدد القيام بمهمة خطيرة، ولكن الفتاة الذكية يجب أن تحافظ على أناقتها في جميع الأحوال؛ فهي لا تعلم متى قد يُعجب فيها الرجل المناسب.

سار أمامها وهو يقول ساخرًا:

- في هذه الصحراء لن يُعجب بكِ إلا ضبٌّ أجرب.

**

واصلا المشي لمدة ساعتين من الزمن، ولم يتوقفا عن السير إلا بعد أن ظهر لهما ذلك المشهد:

كانت هنالك ثلاثة من الجِمال الواقفة، يعتلي أحدها شخص مُلثم لتفادي الغبار والحر، وكان يرتدي ملابس بدوية كتلك التي يشتهر بها أهل صحراء النوبة:

- ابقي مكانك.

قال هاشم ذلك لراما ثم اتجه نحو الرجل البدوي ليسأله بعض الماء حذف إليه الرجل البدوي بقربة مصنوعة من جلد الماعز وقد كان مكتوبًا عليها حكمة نقشت بخط عربي رصين:

"الإنسان هو اكبر خطر على نفسه، فإذا استطاع النجاة من نفسه فإنه يستطيع النجاة من كل شيء"

قال هاشم للرجل حين انتهى من شرب الماء:

- الجو حار اليوم

- انتظر؛ سيهطل الثلج بعد قليل

- وماذا سنفعل بالبطاريق حينها؟

- نُسرحها للرعي مع الغنم.

بدا حوارًا عبثيًا لا معنى له، ولكنه كان عبارة عن كلمة السر التي جعلت هاشم يبتسم ثم يومئ إلى راما أن تقترب.. بينما قفز ذلك الرجل البدوي من فوق ناقته برشاقة عالية، نزع اللثام عن وجهه ومد يده مصافحًا:

- الضابط شريف من المخابرات المصرية.

6

تحرك الركب وقد ارتدى كلٌّ من هاشم وراما فوق لباسهما العسكري ملابس مقاربة لما يرتديه الضابط شريف.. واصلوا السير وسط الرياح التي أثارت معها الرمال في وجوههم متجهين فوق الجمال نحو جهة الجنوب الشرقي من الصحراء حتى وصلوا إلى قرية صغيرة استقبلهم فيها شيخها عند مدخلها مرحبًا.

قال الضابط شريف، يحادث الشيخ وهو يُشير إلى من معه:

- الضيوف الذين أرسلتُ لك بشأنهم يا شيخ مجيد.

أشرقت ابتسامة الشيخ وهو يتطلع إلى هاشم وراما:

على الرحب والسعة – ثم أشار إلى القرية – تفضلوا.. لا بد أن طريقكم كانت صعبة وأنتم بحاجة إلى بعض الراحة قبل المضي إلى عملكم.

اقترب منه هاشم وصافحه في مودة:

- أشكر لك دفء استقبالك، وآمل ألَّا نكون عبئًا عليكم.

- حاشا لله يا ولدي – قال الشيخ – فالمصريون يفرحون بالضيوف.

لم يقضيا هناك وقتًا طويلاً، فما إن دخلا القرية حتى كانا بعد نصف ساعة يجلسان داخل سيارة دفع رباعي مجهزة لعبور الصحراء ويستعدان للانطلاق نحو الهدف.

قال الضابط شريف الذي كان يقف إلى جوار قائد المركبة:

- يجب ألَّا تحيد عن المسار الذي أعطيته لك؛ فهذا المسار قمنا بتأمينه

لكما لتفادي العصابات على الطريق والوصول إلى سوق منطقة بئر طويل بأمان.

- شكرًا لك يا شريف.

ليس بيننا شكر يا هاشم - وأضاف بلهجة صادقة:

- في الحقيقة لا أعلم ما هو الأمر الذي يدفعكما للذهاب إلى هذه المنطقة الخطيرة، ولكنني كنتُ أتمنى لو أنني آتي معكما لأقدم خدمة أكبر.

يبتسم هاشم في وجهه:

- لقد قدمتَ بالفعل خدمة كبيرة لنا.

تلتفت راما إلى الضابط شريف وهي تجلس داخل السيارة فوق مقعد الراكب وتقول بلهجة عفوية دون أن تنتبه إلى اندفاعها:

- بعد انقضاء هذه المهمة سوف نأتي لزيارة مصر ونلتقي بك.

- سأنتظركما بشغف – وأضاف يودعهما – في حفظ الله.

اندفعت السيارة في الطريق الوعرة مُثيرة موجة من الغبار الكثيف وراءها وعندما طالت المدة بهما وكان الطريق ممتلئا بالمطبات والحفر الرملية قالت راما ساخطة:

- ألن ينتهي هذا الطريق؟

- لو كنّا نعلم أن الطريق سوف يتعبك إلى هذا الحد لكنا حجزنا لكِ مقعدًا على درجة سيدات الأعمال.

- أنا لا أمزح – قالت – إنني أشعر بملل رهيب!!

من يسمعكِ الآن لا يصدق أبدًا أننا ذاهبان لتنفيذ واحدة من أخطر عمليات العصر الحديث، ولكن يبدو أنك لا تجيدين تقدير خطورة ما نحن

بصدد فعـ ..

- اسمع يا هاشم!!

تعجب وهو يسمعها تقاطعه بتلك النبرة الغاضبة، ولكنه واصل الاستماع إليها على كل حال وهي تكمل قائلة:

- سحبتم هاتفي بحجة تفادي التتبع وسكتنا.. لم تسمح لي بالبقاء في القرية وتبديل ملابسي وسكتنا ولكن لماذا لا يوجد مكيف في هذه السيارة على الأقل؟!!

ثم قالت وهي تحاول أن تهوي وجهها بيدها:

- أم أن المنظمة أيضًا تستطيع تتبعنا بواسطة فريون المكيف؟ صمت هاشم ولم يُعلق؛ فقالت:

- اعترف أنك ساكت تفكر بكلامي.

- بل أفكر بالعواقب التي سأواجهها لو أنني أنزلتك هنا وأكملت الطريق وحدي.

- أنت لا تستطيع إكمال الطريق وحدك.

- ومن أين أتيت بكل هذه الثقة؟

- إنها النظرية السابعة للحياة.

- وماذا تقول؟

- لا ينجح الرجل في شيء، دون وجود امرأة تُسانده.

- وأين قرأت هذه النظرية يا تُرى؟

- اخترعتها للتو؛ ولكن الوقت وحده هو من سوف يُثبت لك مدى صحتها.. بل وربما يدرسونها يومًا في المدارس والجامعات.

وبينما السيارة كانت ما تزال تقطع الصحراء متجهة نحو الجنوب، مدت راما يدها نحو مسجل السيارة في محاولة لتشغيله ولكنها وجدته معطلًا:

- ألا نستطيع الاستماع إلى أغنية أو قصة أو حتى إعلان شامبو نُقصر به مدة هذا الطريق الذي لا يريد أن ينتهي؟!!

- ما رأيكِ أن أقصَّ عليك قصة حقيقية قصتها عليّ جدتي منذ زمن قديم؛ لعلكِ تستفيدين منها.

- قُلها، وحاول أن تحشوها بالتفاصيل على أكبر قدرٍ ممكن.

ابتسم هاشم بينما كان نظره ما يزال مثبتًا على الطريق الرملي الوعر، وقال:

- كان هنالك شابٌّ في الهند يُدعى ريّان المحظوظ.. وكان ريّان يملك خاتماً أثريًّا نادر الوجود.. وقد عرض عليه أحد التجار شراءه بمبلغ فلكي ولكن ريّان رفض ذاك المبلغ وقرر الاحتفاظ بالخاتم لأنه الشيء الوحيد الباقي من أثر والدته.

- ولد أصيل.

- ولكن ريَّان فقد الخاتم ذات يوم.

- يا لطيف، وكيف حدث ذلك؟!!

- لقد كان يعمل أجيرًا في إحدى المزارع وفقده أثناء عمله، فتش ريَّان عنه في كل مكان ولكن دون جدوى؛ فقد كانت تلك المزرعة مليئة بالخِراف والحيوانات الداجنة ولا بد أن أحدها قد ابتلع الخاتم دون عليه، فقرر أن يصبر على مصيبته وكان يؤمن أنه سوف يستعيد أن ينتبه الخاتم يومًا.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- بعد ثلاثة أشهر فقط، وبينما ريَّان يأكل وليمة عند أحد معارفه التجار إذ أحسَّ بوجود شيء صلب في اللحمة التي كان يمضغها بفمه، أتعرفين ما هو

ذلك الشيء الصلب؟!

- الخاااتم؟!!

- لا بل كانت عظمة لم ينتبه إلى وجودها في اللحمة.

- وماذا عن الخاتم؟!!

- مات ريَّان بعد سنوات ولم يعثر عليه، وهكذا تكون انتهت القصة.

بدت عليها أمارات الخيبة وكأن ذلك الخاتم كان يخصها:

- قُلت لي من أخبرك عن هذه القصة؟!

- جدتي.

- وهل جدتك اسمها عبد المَلِك؟

ابتسم هاشم وكانت ابتسامته تلك تشي بأن عبد المَلِك هو مصدر تلك القصة:

- هل ترغبين بسماع قصة أخرى قصتها عليَّ خالتي؟

- شكرًا؛ ففيّ ما يكفي من المصائب.

وبينما كانت يداه ما تزالان على مقود السيارة وبصره مثبت على الطريق، ابتسم هاشم بخبث وقال يلفت نظرها إلى الشيء الذي اعتقدت أنه لم ينتبه إليه:

- دعينا نعد إذًا إلى الجملة التي قلتها للضابط شريف.

كانت تعرف قصده، لكنها تؤمن بمقولة:(مهما كانت الأدلة ضدك تظاهر بالغباء)

- أي جملة تقصد، أنا لا أفهم عليك؟

- قلت للضابط شريف بأننا سنذهب إلى مصر ونلقاه بعد انقضاء المهمة.. لقد تحدثتِ عني وعنكِ يا راما، فبأي صفة سوف نسافر إلى مصر ونلقاه بظنك؟!

- دعنا نعد لموضوع القصص، أخبرني عن قصة خالتك.

**

أخبرها هاشم عن القصة.. والتي كان مصدرها أيضًا عبد المَلِك، أنها كانت لا تقل سخافة عن القصة السابقة إلا أن راما وبالرغم من ضحكت بقوة عليها؛ حتى تُشتت انتباهه فلا يعود إلى الجملة التي قالتها أمام الضابط شريف.

وبينما هي مستغرقة في الضحك، إذ راح هاشم يُلقي عليها نظرة خاطفة من طرف عينه قبل أن يعود سريعًا لمتابعة الطريق.. لقد خاض ذلك الرجل الكثير من المهمات قبل هذه المرة.. ورغم أنه كان متجهًا نحو الغموض والخطر هذه المرة أيضًا إلا أنه كان يشعر بشيء مختلف.

إنه شعور لا يعرف ماهيته بالضبط، ولكن شيئًا ما في أعماقه السحيقة كان يجعله يشعر بالارتياح لوجودها معه في هذه المهمة الرسمية.

قاطعت راما تأملاته بأن قالت:

- هل سمعت من قبل عن صلاة الاستخارة؟

- هل أخبركِ أحد أنني بوذي؟! - وأضاف: بالطبع أعرفها.

- استخدمها في المرة القادمة قبل أن تفكر بسرد قصة لأحدٍ ما.

وبينما كانا يمضيان الطريق بين حديث وضحك إذ فجأة ساد بينهما صمت مَهيب، وذلك حين ظهر لهما عند خط الأفق شيء لم يخطر ببالهما رؤيته أبدًا.

إنها أضواء مدينة غريبة لا وجود لها على الخرائط التي يعرفانها، أدرك الاثنان أن أوقات الضحك قد انتهت، وحان أوان مواجهة الخطر.

حِصان نجد

1

البئر

كان المنظر الذي شاهداه مفاجئًا للغاية؛ فالمعلومات التي لديهما عن بئر طويل كانت تتمحور حول أنها أرض لا تخضع لسيادة دولية وأنها مجرد منطقة عشوائية مُلقاة في عُمق الصحراء تُهيمن عليها العصابات والمنظمات الخارجة عن ا القانون.

وهذه المعلومات خلقت لديهما انطباعًا صوّر لهما تلك المنطقة على أنها مساحة أرض بدائية تخلو تمامًا من معالم الحضارة والحياة.

ولكن المنظر الذي يُشاهدانه الآن كان يُظهر العكس تمامًا: فقد كانت تلك المنطقة أشبه بمدينة عصرية فاخرة، تزخر بالشوارع المرصوفة والمباني الحديثة الطراز .

- هل أنت متأكد من أننا في بئر طويل؟!

هاشم وعلامات التعجب واضحة عليه:

- لولا الخريطة التي أعطاني إياها الضابط شريف، لقلت بأننا قد اتجهنا إلى مدينة أخرى - وأضاف يُبدي ملاحظة في مكانها:

- بالرغم من أن الأقمار الصناعية تستطيع رصد والتقاط صور واضحة للمعالم الأرضية، إلا أن الصور التي رأيناها كانت تؤكد أن بئر طويل منطقة صحراوية جرداء.

- ما تفسير هذا بظنك؟

أجاب وهو يواصل السير متوغلًا في عُمق المنطقة:

- لا أملك تفسيرًا منطقيًا الآن، ولكننا سنعرف الإجابة لاحقًا.

❃❃

توقفت سيارة الدفع الرباعي عند طرف السوق الوحيدة في منطقة بئر طويل.

- ما هذا المكان؟

- إنها نقطة اللقاء بالمندوب الذي سوف يزودنا بموارد الدخول إلى المزاد.

- ما لي أراك تبدو قلقًا بعض الشيء؟

- المنظمة تعرف وجهي وأخاف أن يكون السوق تحت مراقبتهم.

- ما رأيك أن أذهب بدلًا عنك؟!.. أستطيع التنكر بأدوات التجميل والملابس التي جلبتها معي في الحقيبة.

اتسعت عيناه وكأنها قد ألهمته بالحل ذهب نحو الصندوق الخلفي للسيارة استغرق هناك بعض الوقت قبل أن يعود إليها وهو يعتمر قبعة بيسبول وجدها داخل حقيبتها ذات الماركة الشهيرة، وقد عقد بعض ثيابها تحت قميصه بطريقة متقنة ليجعلها تبدو لمن ينظر إليها وكأنها بطن بارزة حقيقية:

- مع بعض الحرص سيكون هذا كافيًا؛ لتفادي لفت العيون الراصدة إن وُجدت داخل السوق.

راما وهي تهمُّ بالخروج من السيارة:

- أرجو أن تكون قد تركت لي بعض الملابس.

- لا داعي لذلك – قال بلهجة حازمة – فأنا لن أتأخر كثيرًا.

- ألن آتي معك؟

- إذا جاوز غيابي نصف الساعة؛ فاعلمي أنني لن أعود.

- هل آتي حينها لأتفقدك؟

- إياك أن تفعلي ذلك؛ فعدم عودتي إليك خلال ثلاثين دقيقة يعني أن مكروهًا ما قد أصابني.. لحاقكِ بي إلى السوق يعني أن ذات المكروه سيُصيبك أنتِ أيضًا.

- ماذا أفعل في هذه الحالة إذًا؟

مدَّ إليها الصندوق المصنوع من مادة التيتانيوم والذي يحوي بداخله الشريحة الحارقة التي أعطاهما إياها البروفيسور عادل العادل، وقال بلهجة جادة قوية:

- افعلي كل ما يتطلبه الأمر ؛ لتدمير الملف وإحباط عملية بيعه.

كانت تلك هي المرة الأولى في هذه المهمة التي تشعر فيها راما بخطر فقده.. لم تشأ أن يفضحها خوفها عليه فقالت ودموع الرجاء تملأ عينيها:

- هذه الثياب التي تضعها حول بطنك وهذه القبعة التي تعتمرها فوق رأسك، أمانة، وأنا لن أسامحك إن لم تُعدها إليَّ.

- تذكري، ثلاثون دقيقة فقط ثم غادري المكان بعدها.

ورغم أنه أغلق الباب وسار نحو السوق إلا أنه استطاع سماعها وهي تصرخ داخل السيارة:

- لن أغادر دون ملابسي!!

لم يكن بحاجة لأن يعود ويؤكد عليها ضرورة المواصلة لتدمير الملف ؛ كان يُدرك جيدًا أنها عند اللحظة الحاسمة. ستضع مصلحة الوطن أولًا.

**

كان السوق مزدحمًا بالزوَّار من كل الأعراق والأجناس المختلفة، سار هاشم بخطوات عرجاء منتهزًا فرصة الازدحام، مندمجًا وسط الحشود بطريقة حاول

بها ألّا يَلفت الانتباه إلى وجوده.. عيناه المدربتان بشكل احترافي لم تخطئا أماكن الكاميرات المنتشرة في أركان السوق؛ فتعمد السير بطرقات متعرجة داخل زحمة الناس دون أن يجعل ملامحه تظهر في نطاق رصد الكاميرات.

كانت المحلات التجارية هناك تمتاز بغرابة عجيبة: فكان المرء يجد فيها البضائع العادية كمحلات الأزياء ولوازم الحياة اليومية، ويجد فيها أيضًا بضائع من نوع آخر: مثل حوانيت[1] النخاسة[2]، ومتاجر بيع الأسلحة الثقيلة والخفيفة، وأكشاك المخدرات.

ورغم أن هاشم كان يسير وسط الحشود وهو لا يعلم وجهته أو الطريقة التي سيقابل بها ذلك المندوب إلا أنه كان يركز كل حواسه في بصره وأذنيه، حتى سمع وسط ضجيج اللغات المتنوعة صوتًا عربيًّا يقول:

- يا له من حر شديد اليوم أتمنى لو أن السماء تهطل ثلجًا.

كانت هذه العبارة هي الإشارة التي جعلته يَقتاد نفسه تلقائيًّا خلف قائلها حتى دلف وراءه إلى أحد حوانيت بيع التحف الأثرية، وأكمل يسير خلفه حتى لحق به إلى المستودع الخلفي للحانوت.

لم يستطع هاشم رؤية ملامح المندوب بشكل واضح، إذ أنه كان يرتدي قناعًا يغطي به الجزء العلوي من وجهه ورغم هذا استطاع أن يلمح ذلك الوشم الصغير لرمز الدولار أسفل عينه اليُسرى.
- اسمي توماس.

قال الشاب ذلك ثم أدخل يده وأخرج بطاقة مدها نحو هاشم:

- لقد تعاقدت حكومتك لتزويدك بموارد الدخول؛ هذه البطاقة معي بمثابة جواز عبور شخصين إلى مزاد الليلة.

---

[1] جمع حَانُوت، ويقصد به المكان الذي يتّخذه التاجر للبيع والشراء، كالدكاكين والمتاجر.

[2] أو النَّخَّاسِ: هي حرفة بيع العبيد، ويَقصد بها الكاتب هُنا اسم الأماكن التي يُباع فيها العبيد.

كانت بطاقة فاخرة سوداء، عليها أشكال مشفرة لا يستطيع قراءتها غير الجهاز الأمني لبوابة المزاد.

أكمل توماس قائلًا:

- بتقديمي هذه البطاقة لك أكون قد أنجزتُ ما قبضت ثمنه من حكومتك، ولكنني أيضًا أؤمن بخدمات ما بعد البيع؛ لذلك اسمح لي أن أُقدم لك هذه النصيحة الصغيرة.

وأضاف توماس يُقدم إليه النصيحة:

- إنك تقف الآن على أرض ذات قانون خاص متفرد؛ وهذه الأرض عبارة عن منطقة نفوذ كاملة لأهم وأخطر المنظمات والعصابات حول العالم.

ألقى هاشم نظرة سريعة إلى ساعة يده.. كان من المهم بالنسبة إليه أن يحسب الوقت حتى يعود إلى راما قبل انتهاء الثلاثين دقيقة المتفق عليها؛ فكان ما يزال أمامه عشر دقائق إضافية.

أكمل توماس يقول النقطة الأهم في نصيحته:

- ما أريد قوله هو أن السريّة هنا عملة لا تُقدر بثمن؛ لذلك يجب أن تكون حذرًا، فلو انتبه أحد من هذه العصابات أو المنظمات إلى وجود ضابط

حكومي يقف على منطقة نفوذهم فإنهم سيتعاونون جميعًا لجعله عبرة لكل حكومة تفكر بإرسال أحد منسوبيها مرة أخرى.

أدرك هاشم الآن السبب: **إن العصابات والمنظمات هنا ومن أجل المحافظة على السرية.. يقومون بتزييف المعلومات المُقدمة إلى الأقمار الصناعية؛ فتجعل منطقة بئر طويل تظهر لمن يحاول البحث عنها في محركات البحث العالمية كما لو أنها أرض خالية من معالم الحضارة والحياة.**

عند تلك اللحظة سمع الاثنان أصواتًا في الخارج غير طبيعية، فأدركا أن أمرهما قد كُشف؛ أخرج توماس سلاحه بينما أصغى هاشم لحسه الأمني وقام بمسح المستودع ببصره محاولًا أن يجد طريقًا للهروب قبل أن يُقحم نفسه في الاشتباك مع أشخاص لا يعرف عددهم أو قدرتهم التسلحيَّة.

لحسن الحظ أن ذلك المستودع كان مزودًا بباب للشحن يُفضي إلى زقاق خلفي، ركض هاشم نحوه ولكنه قبل أن يعبره تذكر أمرًا في غاية أن المنظمة لو قبضت على توماس فإنهم سيجبرونه على الأهمية وهو الاعتراف بما يعرفه؛ وحينها سوف تعلم المنظمة أن المخابرات السعودية تسعى لعرقلة بيع الملف؛ مما سيجعلهم يتخذون المزيد من الإجراءات الأمنية المُشددة؛ وهذا قد يؤدي بالتأكيد إلى فشل المهمة.

لم يكن أمامه إلا أن يفعل شيئًا واحدًا لتفادي حدوث ذلك، إنه يُدرك جيدًا أن ما سيفعله هو خطأ فادح؛ ولكنه كان مضطرًّا لفعله.

2

أخرج هاشم مسدسه من الجراب الذي كان يلفه حول صدره.. ورغم نفوره الشديد من سفك الدِّماء إلّا أنَّه كان مستعدًّا لأن يفعل أي شيء من أجل تنفيذ المهمة.

صوَّب مسدسه نحو توماس، ثمَّ أطلق رصاصتين أصابتا الجزء الخلفي من رأسه..

ركض بعد ذلك هاربًا من الباب الخلفي للمستودع ولكنَّه قبل مُغادرة الزقاق أصابته رصاصة جعلته يسقط مكانه أرضًا والدماء تسيل منه، اقترب منه ثلاثة من أفراد المنظمة وقد أحاطوا بجسده المصاب.. قال أحدهم يتحدث في جهاز الإرسال:

- تمّت إصابة الهدف في الزقاق الجنوبي.

وعاد يقول: أُكرر لقد تمّت إصابة الهدف في الزقاق الجنوبي.

انحنى أحد من الحرس الثلاثة ليتفقده، ولكنه ما كاد أن يقلبه على ظهره حتَّى انقض هاشم عليه محتضنًا إياه بقوة جاعلًا من جسده درعًا له.. ثم بحركة سريعة التقط هاشم بيده الثانية مسدسه وأطلق رصاصتين لأقرب الحارسين وأسقطه مكانه صريعًا.

انتبه الحارس الآخر لما يحدث فأطلق فوجًا من الرصاص نحو هاشم، ولكن كل الرصاصات التي أطلقها كانت قد استقرت في جسد الحارس الذي كان هاشم يتخذ منه درعًا بشريًّا له؛ وحين حانت الفرصة المناسبة جاء دور هاشم فأنهى حياة الحارس من خلال رصاصة استهدفت موضع قلبه.

أزاح هاشم الدرع البشري من فوقه ونهض، كان يعلم أنَّ هًنالك مزيدًا من عناصر المنظمة سوف يملؤون المكان في أي لحظة؛ لذلك كان عليه أن يُسرع بالمغادرة..

وبالفعل لم يكد يبتعد بضع خطوات من هُناك حتَّى بدأ بعض عناصر المنظمة بملاحقته، وبالرغم من الجرح الذي كان يُحرق ذراعه إلّا أنَّه استطاع أن يُضاعف من سرعته حتّى وصل إلى مواقف السيارات.

ولكن راما لم تكن هناك!!

أدار بصره في المكان في توتر يبحث عنها دون جدوى؛ ونظر إلى ساعة يده فأدرك ما حدث: **لقد انتهت الثلاثون دقيقة وغادرت راما المكان مثلما كان قد أوصاها..** وفي تلك اللحظة العصيبة، أدرك أنه انتهى؛ إذ لحق به عنصران من المنظمة وقال أحدهما وهو يصوِّب مسدسه نحوه:

- اترك سلاحك؛ وإياك أن تتذاكى.

إنه يعلم بأنهما سيقتلانه ما إن يُقدم على حركة مفاجئة؛ لذلك كان عليه أن ينصاع إلى أمرهما؛ فألقى هاشم سلاحه أرضًا، بينما قال الصوت الآخر آمرًا:

- اجثُ على ركبتيك، وضع يديك خلف رأسك.

وما إن جثا هاشم على ركبتيه ووضع يديه خلف رأسه كما طُلب منه حتّى سمع هدير محرك سيارة يندفع مقتربًا بسرعة جنونية، تلاه صوت ارتطام عنيف.

نظر هاشم إلى الخلف ليرى ما الذي حدث فوجد سيارة الدفع الرباعي أمامه وأسفل منها تتمدد جثتا عناصر المنظمة في مشهد دموي مُفرح.

ابتسم هاشم حين رآها، بينما خفضت راما زجاج النافذة وقالت:

- لا تفرح، لم أعد من أجلك بل من أجل ملابسي.

أعادت راما إعطاءه صندوق الشريحة اللاصقة ثمَّ انتقلت إلى مقعد الراكب بينما صعد هاشم إلى خلف المقود.. بعد أن أزال قبعة البيسبول عن رأسه، والملابس التي كان يعقدها تحت قميصه.

سألته راما:

- ماذا سنفعل الآن؟!

- سنجعلها تُمطر نارًا عليهم.

قال ذلك ثم ضغط دواسة الوقود إلى آخرها.

3

غادرت سيارة الدفع الرباعي المكان مسرعة. قالت راما وهي تنتبه لذراعه اليُمنى:

- ذراعك تنزف بغزارة.

- لا تقلقي، جرح سطحي ليس أكثر.

- حتى الجراح السطحية قد تتحول إلى جراح مميتة إن لم تعتنِ بها.

قالت ذلك ثم مزقت كم قميصه.. وبدأت مستخدمة أدوات حقيبة الإسعافات الأولية للسيارة ذات الدفع الرباعي بتطهير الجرح حتى تأكدت من نظافته.. ثم وضعت بعض القطن النظيف فوقه وعقدت عليه لفتين من الرباط، قالت وهي تُنهي عملها:

- ألم تفكر في مسألة وجهينا اللذين ستعرفهما المنظمة؟!

- سوف نُخفي ملامحنا خلف الأقنعة.

- ألن يطالبونا بنزعها للتأكد من هوياتنا عند البوابة؟

لم تكن لديه معلومة مؤكدة؛ ولكنه منقادًا خلف استنتاجه العقلي قال:

- المزاد سوف يحضره عدد كبير من الشخصيات الهامة حول العالم، المنطق هُنا يقول بأن تلك الشخصيات لن يغامروا بتعريض هوياتهم للكشف تحت أي ظرف كان. وهذا يعني أن كل من يمتلك بطاقة لدخول مزاد الليلة يمتلك أيضًا كامل الحق في تغطية وجهه بالطريقة التي يراها

مناسبة.

كان هنالك إحساس غير مريح يخالج قلب راما:

- المزاد سوف يبدأ بعد ساعات قليلة، ولا شك أن موت توماس في هذا التوقيت الحساس سيجعل المنظمة تحقق في الأمر ممَّا قد يجعلهم يعرفون أنَّ هُناك من يُحاول اختراق مزادهم؛ وهذا قد يدفعهم إلى فرض المزيد من الإجراءات الأمنية داخل القاعة.

- إنه احتمال وارد.

- وماذا سنفعل إن وجدوا طريقة لاكتشافنا؟

أجاب هاشم بصوت لم ينجح في إخفاء نبرة القلق فيه:

- سنتعامل حينها مع الموقف وفق المعطيات على أرض الواقع.

4

زهرة البئر السوداء

عقدت أفروديت حاجبيها باهتمام وهي تتأمّل من خلال تسجيلات كاميرات مُراقبة السوق ذلك الشَّاب الطويل الأعرج ذا البطن المتورمة وهو يسير وسط زحام النَّاس بطريقة مائلة، متفاديًا تعريض وجهه لمجال التصوير.

أعادت شريط التسجيل عدة مرَّات - ومن زوايا مختلفة – وقد كان يُمكنها أن ترى ملامحه بشكل أوضح قليلًا، لولا قبعة البيسبول اللعينة تلك التي كان يعتمرها فوق رأسه:

- وأين توماس الآن؟

- لقد عثر عليه الفريق مقتولاً بطلقتين في مؤخرة رأسه يا سيدتي.

- قتلوه كي يضمنوا سكوته.

قالت مستنتجة وأضافت:

- وما أخبار الفريق الأمني يا تُرى؟

قال مساعدها:

- لقد فقدنا الاتصال بهم بعد أن أخبرونا أنَّهم قد أطاحوا بالهدف في الزقاق الجنوبي للسوق. سأعاود الاتصال بهم مرة أُخرى لأعرف آخر الأخبار.

- لا تُتعب نفسك، فلن يُجيبك منهم أحد.

- ماذا تعنين؟

- أعني أن الذي تخلص من توماس، قد تخلص منهم أيضًا.

في تلك اللحظة، وبينما هم في المكتب الأمني للقاعة، دخل عليهما أحد أعضاء المنظمة وهو يذيع هذا الخبر:

- لقد تأكد لنا مصرع الفريق الذي أرسلناه خلف توماس.

وأضاف وهو يجلس أمام أفروديت ويسألها في حالة عصبية:

- ما تفسير هذا الذي يحدث بظنك؟!

- المسألة واضحة يا مَهران ولا تحتاج إلى تفسير، هُنالك جهة تطمح لاختراق المزاد الخاص بنا؛ وقد أرسلوا محترفًا ليقوم بهذه المهمة بالنيابة عنهم.

قال مَهران وقد زادت حالته العصبية:

- يجب أن نؤجل ترتيبات الليلة إذًا.

- لا، فقد بدأ وصول الضيوف بالفعل يا مَهران، وكنّا قد أكدنا لهم أنَّ المناسبة تحظى بمستوى عالٍ من الأمان والخصوصية، تأجيلنا للمناسبة الليلة سيؤثر سلبًا بالتأكيد على مصداقيتنا ويضعنا في موقف محرج.

- ما العمل إذًا؟

- ستُقام الحفلة في موعدها.

وأضافت أفروديت بنبرة خبيثة:

- إنَّ استمرار المناسبة في موعدها المحدد، سوف يؤكد على مصداقيتنا أمام الضيوف وسوف يتيح لنا أيضًا فرصة كبيرة لاصطياد المحترف.

- وهل سيكون المحترف ضمن ضيوف الليلة؟

- ما الذي بظنك جعل توماس يقابله في هذا التوقيت بالذات؟

وأضافت أفروديت تُحلل الموقف حسب ما تراه وتعتقده:

- هنالك جهة كُبرى تعاقدت مع توماس لتسهيل دخول محترفها إلى مزاد الليلة.. وتوماس قبض الثمن منهم وسرَّب بطاقة لمحترفهم بطاقة لدخول المزاد.. الليلة يا مهران سوف نقبض على هذا المحترف ونبعث برأسه إلى الجهة التي أرسلته كهدية تذكارية.

مَهران:

- إن صدقت توقعاتك فلا بد أن المحترف سوف يأتي إلى الحفل ساترًا وجهه كما هو حال أغلب ضيوفنا الليلة. فكيف سنحدد هويته دون أن نضطر لفرض إجراءات أمنية قد تُثير قلق الضيوف؟

كان معه حق، لا بد أن ذلك المحترف سيأتي الليلة ساترًا وجهه. وكانت المنظمة قد وعدت بأنها لن تُطالب بالكشف عن الهويات؛ وبأنها سوف تسمح لكل ضيف بالقدوم برفقة حارسه الخاص، ولمزيد الأمان أكّدت المنظمة أن الحارس يُمكنه إدخال مسدسه الخاص معه، ولا شك أنَّ أي قرار مفاجئ قد تتخذه المنظمة الآن حيال أحد تينك الشرطين سوف يُثير قلق الحضور ممَّا سوف يُكبد المنظمة خسارة الكثير من العملاء المحتملين.

أطرقت أفروديت تفكر قليلًا قبل أن تقودها فطنتها إلى حل ممكن، فقالت تأمر مهران:

- أحضر لي مساعد توماس، لا بد أنه يعرف شيئًا بهذا الخصوص.

5

عاد مهران بعد وقت قصير وهو يقتاد خلفه رجلًا يكاد لفرط خوفه لا يستطيع التقاط أنفاسه:

- هذا هو مساعد توماس. قال ذلك وهو يدفعه:

- لقد ألقينا عليه القبض وهو يُحاول الهرب.

اتسعت عينا أفروديت وقد أدركت أنّ إحساسها كان في محله؛ فمساعد توماس لن يُحاول الهرب إلّا إن كان متورطًا في مسألة التآمر.

تأمَّلته أفروديت وهو ينتفض رعبًا كفرخ مبلّل، فأخرجت مسدسها ووضعته على الطاولة ثم قالت:

- الموت هو مصيرك المحتوم.. ولكن إجابتك للسؤال الذي سوف أطرحه عليك الآن هي من ستحدد ما إذا كان موتك سوف يكون سهلًا أم أنَّني سأجعلك تتمنى الموت فلا تجده.

ما إن أتمّت عبارتها تلك حتَّى انطلقت يده - يد مساعد توماس - بسرعة خاطفة نحو المسدس المُلقى فوق الطاولة، التقطه ثم وضع فوهته على رأسه وضغط الزناد على نفسه دون تردد.

حالة الهزّة العنيفة أصابت جسده بعد ذلك.. ليس لأنه مات من بل لأنَّ المسدس أصدر صوت فرقعة ميكانيكية صغيرة دون أن يُطلق الرصاص.

اتسعت ابتسامة أفروديت:

- هل كُنت تظن أنَّني سأجعل النهاية عليك بهذه السهولة؟

لم تعد قدماه تُطيقان حمله فسقط منهارًا على ركبتيه وأخذ ينشج باكيًا.

في تلك اللحظة اقترب منه اثنان من عناصر المنظمة، قام أحدهما بمسك ذراعيه لاويًا إياهما خلف ظهره، بينما الآخر يُمسك فكّه بقوة شديدة. تعالت صرخات مساعد توماس من خلف الباب وهو يصرخ:

- لا، لا.. سأقول كل شيء، سأقول كل شيء.

6

ليلة المزاد

ليلًا..

كانت القاعة من الخارج تتوهشج بالأضواء الصفراء المتلألئة، بدأ ضيوف المزاد بالدخول عبر بوَّابة البهو الرئيسية، كانت كل الوجوه تختفي خلف أقنعة ساترة، ولكن السِّمة العامة للحضور كانت الأناقة والثراء الفاحش.

وسط تلك الجموع الأنيقة عبر هاشم وراما وهما يُخفيان ملامحهما خلف أقنعة مزينة بالكريستال وراما تُمسك ذراعه بشكل تلقائي لا يُثير الانتباه وكأنهما ثُنائي من الأثرياء يرغبان في حضور المزاد.

سار الاثنان عبر الممر المُفضي إلى البوابة الأمنية، كان في أعماقهما توتر من اللحظة التالية: هل ستعمل البطاقة على الماسح الضوئي عند البوابة أم أنَّ أمرهما سيُكشف ما أن يمرراها بعد لحظات.

وفي تلك اللحظة القلقة لم يتمالك هاشم نفسه وهو يبتسم من وراء قناعه عندما بدأ يسمع همهمات راما وهي تردد الآية القرآنية بصوت خافت خائف: **(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ).**

مرَّر هاشم بطاقة العبور، مضت لحظات من الصَّمت كاد فيها قلب راما أن يسقط بين قدميها قبل أن تُضيء الشاشة باللون الأخضر مع عبارة

"يُسمح بالمرور".

قالت راما وهي تكاد أن تطير لفرط الفرح:

- هذه الآية لم تُخيب ظنّي أبدًا منذ أن كنتُ أستخدمها في اختبارات الثانوية العامة؛ حتَّى لا تنتبه إليَّ مشرفة القاعة وأنا أغش الإجابات من الطالبات.

كاد أن يرد لكنه صمت، إذ أن شعورًا بالقلق اجتاح أعماقه تلك اللحظة، وكأنَّ غريزة الشعور بالخطر قد رفعت بداخله راية حمراء تُنبّئه فيها بأن هنالك أمرًا خطيرًا على وشك الحدوث.

ترك هاشم مشاعره تلك جانبًا وتمنّى في قلبه أن يكون حدسه مخطئًا، والتفت حيث كان الجميع يتجهون:

- تعالي - قال وهو يتقدم - يجب أن نندمج مع الضيوف.

عندما وصلا إلى حيث يحتشد الحضور شاهدا مسرحًا يتكاثف حوله رجال الأمن بطريقة نصف دائرية.. وفوق خشبة المسرح كان ينهض نُصب من العاج الأبيض بشكل أسطواني حاملًا على قمته قمع فاخر من الزجاج.

ركز هاشم بصره إلى ما بداخل القمع الزجاجي حيث استقرَّت كبسولة ذهبية لامعة كان حجمها لا يتجاوز نصف الكف؛ فاشتعلت أعماقه سعيرًا وهو يراه - **يرى ملف حصان نجد** - أمامه.

كل ما كان يحتاجه فقط هو التواجد على مسافة متر واحد من الكبسولة الذهبيّة لمدة ثلاث دقائق حتى تقوم الشريحة التي بجيبه بتدمير نسخة ملف حصان نجد وتُحيله إلى ملف فارغ.

ولكن الطوق الأمني المكثف كان يُحافظ على إبقاء الحضور على مسافة خمسة أمتار عن المسرح.. ولو فكر هاشم بتجاوزهم بأي طريقة فإنَّ فرقة القناصة المُنتشرة على طول امتداد سقف القاعة لن يتأخروا بإسقاطه قتيلًا قبل أن يقترب منه بالحد الكافي.

أُخفتت جميع أنوار القاعة وانطلق خيط وحيد من النور الأبيض ليُنير خشبة المسرح، وبعد فستانا لحظات يسيرة صعدت إلى المسرح سيدة بارعة الجمال ترتدي فستانًا من قماش الدانتيل والترتر الأسود والذي توهج مثل نجوم سوداء لامعة أسفل خيط الضوء.

هُنا وفي هذه اللحظة النادرة: اجتاحه - اجتاح هاشم - شعور مُختلط ما بين الغضب والحقد والخذلان والحنين، كلّها انفجرت في صدره كبركان هائج.

وفي خطوة ما بين الإنسانية والإدراك أمسكت راما يد هاشم مواسية وكأنَّها قد استشعرت في تلك اللحظة فوج المشاعر التي داهمت أعماقه السحيقة.

انبعث صوت أفروديت جهوريًّا من خلال مكبرات القاعة، وقد راحت تتحدث إلى الحضور أمامها وهي لا تُدرك أنَّ هاشم كان بينهم.. يراها من خلف قناعه ويستمع إلى حديثها وهي تقول:

- أهلًا بكم سيداتي سادتي لهذه الليلة في زهرة البئر السوداء، نُقدر جميعًا لكم عناء الرحلة وصعوبة الوصول.. ولكنني أعدكم بأن ثقتكم بنا ستكون في محلها.

وراحت تقترب من القمع الزجاجي براحة وثقة؛ إذ إن أفروديت كانت هي الشخص الوحيد الذي يُسمح له بالاقتراب من الملف، أخرجته من مكانه بيدها التي تغطيها بالقفاز. قالت وهي ترفعه قليلًا ليراه الجميع:

- هذا الملف هو ثمرة سنوات طويلة من البحث العلمي والابتكار بدأتها السعودية كأحد مستهدفات ما بعد رؤيتها للعام عشرين ثلاثين، والتي أثمرت عن منظومة سرية تهدف لغزو الفضاء.

استطاعت بكلماتها تلك جذب انتباههم؛ فقد كان هنالك سباق محموم بين حكومات العالم لغزو الفضاء والاستفادة من المعادن ومصادر الطاقة فيه، ولكن ما كان يُميز ذلك الملف - حصان نجد - هو أنَّه كان يحتوي على دراسات وتجارب تم تطبيقها وتفعيلها بنجاح للوصول إلى أهداف أبعد من

مجرَّد الاستفادة من الموارد الفضائية.

أعادت الملف وضع داخل القمع الزجاجي، وأكملت أفروديت تخبرهم عن الأهداف الثلاثة الرئيسية للملف:

- هذا الملف يحوي خطة كاملة للاستفادة من المعادن ومصادر الطاقة الفضائية الثمينة.. وبالإضافة إلى ذلك قامت هيئة الفضاء السعودية بالتعاون مع العديد من الوزارات المسؤولة بوضع خطّة لبناء قواعد عسكرية في الفضاء..

وبث أقمار صناعية خاصة تحميها خوارزميات معقدة ومدعومة بالذكاء الاصطناعي لحماية الأراضي السعودية من الاختراق والتجسس.

تعالت تعابير الإعجاب من قِبل الحضور، ممَّا جعل باطن أفروديت يبتسم في سعادة ورضا وهي تكمل قائلة:

- نقدم لكم ملف حصان نجد والذي تمكنّا عبر عملية تجسسية طويلة المدى من الحصول عليه.. كما تؤكد منظمة التاج الأزرق وتضمن لكم، وبشكل قطعي على أنَّ هذه النسخة أمامكم هي النسخة الوحيدة المسربة من المشروع الأصلي.

كانت تلك المعلومة - معلومة النسخة الوحيدة - بالتأكيد سوف تساهم في زيادة سعر بيع الملف وتُشعل حماس المنافسين للحصول عليه.

أكملت أفروديت كلامها الأخير:

- أذكركم أنَّ مبلغ المزايدة سوف ينطلق من مبلغ عشرة مليار دولار، أمَّا الآن فإنني أدعوكم إلى الاستمتاع بالمشروبات المتواجدة على البار قبل أن نعود إليكم بعد أربعين دقيقة من الآن لتحصيل مزايداتكم وإعلان الفائز

بالحصان.

مع بدء تحرك الضيوف نحو البار الضخم المتواجد في الجهة الشرقية للقاعة، تفاجأ كلٌّ من هاشم وراما بثلاثة عناصر أمنية تُحيط بهما وأحدهم

يقول:

- تفضلا معنا دون افتعال مشكلة.

ثمَّ أكد عليهما الحارس قائلًا:

- تأكدا بأننا لن نتردد في إطلاق النَّار عليكما إن لزم الأمر.

أدار هاشم بصره حوله وكأنَّه يُحاول إيجاد مخرج لهما، ولكن لفت نظره أن جميع القناصة المنتشرين على سقف القاعة قد صوبوا بنادقهم نحوهما ممَّا جعله يلتفت نحو راما ويقول مستسلمًا:

- لنفعل ما طلبوه.

❃❃

القبو

أخذهما الحرس نحو المصعد الذي هبط بهما إلى أسفل الأرض بعدة طوابق.

بدا هاشم حينها قادرًا على التحكم بضبط أعصابه على عكس راما التي أظهرت أنفاسها السريعة من خلف القناع مدى التوتر والقلق اللذين كانت تعيشهما تلك اللحظة.

اقتادهما الحراس نحو قبو القاعة بعد أن قاموا بتجريدهما من كل أسلحتهما.. ورغم خطورة الموقف إلّا أنَّ عقل هاشم كان يدرس كل السبل الممكنة للنجاة من ذلك الموقف.. ومواصلة المهمة حتى الوصول إلى إتلاف محتويات الملف.

انقطعت حبال أفكاره مع انفراج الباب الوحيد للقبو لتعبر منه أفروديت يرافقها مَهران. اقتربت من الأسيرين قليلًا حتَّى باتت تستطيع أن ترى العيون القلقة التي كانت تظهر من خلف القناع:

- كاد قلبي أن يطير فرحًا حين تلقينا إشعار تسجيل دخولكما.

هُنا أدرك هاشم الطريقة التي استخدمتها المنظمة لاكتشاف أمرهما؛ فقد توصلوا بالتأكيد - ومن خلال أحد أعوان توماس - إلى الشيفرة الخاصة ببطاقة الدخول، وقاموا بمتابعتها بعد أن مُررت على الماسح الضوئي للبوابة.

همست أفروديت بصوت ذو مغزى قائلة:

- ليس من أدبيات التعارف أن تكون الأقنعة حاجزًا بيننا.

تحرك حراس الأمن كما لو أنَّ تلك العبارة التي سمعوها كانت الأمر لهم بنزع أقنعة الأسيرين..

امتدَّت يد نحو قناع راما ونزعته، ويد أُخرى نحو قناع هاشم ونزعته.

7

اندفعت شهقة من أعماقها - أعماق أفروديت - عندما رأت تلك الملامح التي نُزع عنها القناع "إنَّه هاشم!".. اجتاحها خليط شديد من أحاسيس متناقضة:

إنها تُريد قتله، وتُريد عناقه، تُريد تعذيبه، وتُريد البكاء على كتفه.

ظلَّ هاشم يتأملها في صمت: عقله يُريد القيام بشيء، وقلبه يُريد القيام بشيء آخر، إنَّه يرى العدو والحبيب معًا.

وبين هذا وذاك كانت راما تتنقل ببصرها بينهما في حيرة وفضول، تنتظر أي ردّة فعل تصدر عن أحد الطرفين.. حتى تكلمت أفروديت قائلة بصوت مختنق:

- لقد حزنت لخبر إعدامك.

وصمتت سريعًا كما لو أن تلك الجملة قد أفلتت على الرغم منها، فقالت تصحح جملتها السّابقة لتستعيد توازنها أمام رجالها:

- حزنت لخبر إعدامك لأنني لم أقتلك بنفسي.

ثم التفتت نحو فريقها الأمني وقالت:

- غادروا.

كان مَهران يُدرك أنَّه من الصّعب المُغادرة وتركها وحدها في ذلك الموقف؛ وهذا ما دعاه من باب الحيطة والحذر أن يقترب منها ويهمس في أذنها:

- ولكن يا أفروديت سيكون من الخطر أ...

لم تسمح له أفروديت بأن يُكمل جملته، فامتدت يدها بسرعة خاطفة لتستل مسدسه من حزامه ثمَّ تصوبه نحو رأسه وتقول بشراسة وغضب عارم:

- إياك أن تنسى مقامك مرَّة أُخرى.

كانت أفروديت أعلى رتبة منه في المنظمة، وهذا ما يجعلها قادرة على تمرير أمرها عليه دون جدال أو مناقشة. قال مهران وهو يُطأطئ رأسه:

- حاضر يا سيدتي.

ثم أشار للعناصر الأمنية وغادروا القبو وراءه.

**

وسط مشاعرها المتناقضة والمتشابكة انبعث صوتها منفعلًا محملًا بعاطفة عجزت عن كبحها، وكأنَّها لم تكن تُريد لهاشم أن يضعها في الموقف الذي قد يضطرها فيه لأن تقتله بنفسها:

- ما الذي جاء بك، وأنت تعلم أن موتك سيكون هنا؟!!

- جئت لأستعيد ما سرقتِه يا أفروديت!

أحست بحزن سحيق حين سمعته يُناديها "أفروديت" فقد تمنَّت لو أنه يناديها بلقيس، أو "بلقوسة" كما كان يناديها في تلك الأيام السابقة.

صوَّبت المسدس نحوه وقالت:

- كان عليك أن تغتنم فرصة نجاتك من القصاص وأن لا ترتكب حماقة قدومك إلى هُنا. وأضافت قبل أن تُطلق عليه: تأكد أن الأيام التي جمعتنا ستبقى ذكرى عزيزة لديَّ، وداعًا يا هاشم.

وهنا وبحركة جنونية غير متوقعة اندفعت راما لتقف بين هاشم والمسدس المصوب نحوه وتقول بصوت وشى بمدى الجسارة التي كانت عليها:

- في هذه الحالة، سيكون عليكِ أن تقتليني أوَّلًا.

جن جنون أفروديت وهي ترى راما تقذف بنفسها إلى الموت دفاعًا عن هاشم في خطوة متهورة لا تقوم بها إلّا فتاة عاشقة.

❃❃

اشتعل في أعماقها جحيم مستعر من الغيرة والحقد جعلها تنسى المسدس الذي كانت تُمسكه بيدها وتندفع بغضب نحو راما لتلطم وجهها صارخة:

- وما شأنكِ أنتِ أيتها اللعينة؟!

ولكن قبضتها توقَّفت في الهواء - قبل أن تصل إلى هدفها - بعد أن أمسك بها هاشم وقال:

- شأنها أنَّها معي، وأنها لم تخني، ولم تخن وطني.

كان هاشم يعلم أنَّ كتيبة من الحرس المدجج بالسلاح سوف تقتحم المكان فورًا في حال قرَّر القيام بإلحاق الضرر بها؛ لذلك وربما لحاجة في نفسه قرر أن يفلت يدها ويتراجع عنها.

دخل مَهران القبو في تلك اللحظة لتصيح أفروديت بوجهه:

- ألم أطلب منكم أن تغادروا؟؟

- لقد أوشكت الأربعون دقيقة على الانقضاء، وحان وقت المزاد يا سيدتي.

قالت بغضب وهي تنظر نحو هاشم:

- سأبيع أسرار بلدك، وأمسح بسمعتها الأرض، ثم أعود لأقتلك.

❃❃

غادرت أفروديت بعد ذلك مع مهران يتبعهما جزء من الفريق الأمني، بينما ظلَّ جزء آخر في الأسفل لحراسة الأسيرين.. التفتت راما نحو هاشم في

لهفة وفزع:

- هل انتهى كل شيء؟!

سار هاشم نحو ركن القبو وجلس فيه القرفصاء محتضنًا نفسه وكانت تلك هي المرة الأولى التي يخاف فيها بشكل حقيقي منذ زمن طويل:

- نعم - قال مُعلنًا - لقد انتهت المهمة.

8

المزاد

لو ما إن صعدت أفروديت إلى خشبة مسرح المزاد ووقفت إلى جوار القمع الزجاجي الذي يحمل بداخله ملف حصان نجد حتَّى استعادت كامل تألقها وفتنتها، وكأنَّ شيئًا لم يحدث في القبو قبل قليل.

بدأ انطلاق المزاد ابتداءً من مبلغ عشرة مليارات دولار.

وجعل الضيوف يُزايدون فوق ذلك المبلغ في إشارة واضحة لرغبة الجميع في الحصول على الملف.. وخلال زهاء ربع ساعة فقط كان قد انتهى المزاد راسيًا على مبلغ مئة مليار وخمس مئة مليون دولار؛ لتتجاوز قيمة البيع بذلك طموحات الرقم الذي كانت تتوقعه منظمة التاج الأزرق بكثير.

❃❃

وبعد الانتهاء من عملية البيع أخيرًا، تقدمت حفنة من الأعضاء الكِبار لمنظمة التاج الأزرق ليحيوا أفروديت ويُهنئوها بذلك النجاح الساحق، حنت أفروديت رأسها لأسيادها وقد جعلها ذلك الأمر تستعيد ثقتها بنفسها وتُرمم مشاعرها المهزوزة، وتستدعي مهران لاحقًا لتخبره بما عقدت العزم عليه:

- حان وقت التخلص من الأسيرين.

❃❃

القبو

انفرج باب القبو لتعبر منه أفروديت يُرافقها مَهران ويتبعهما جوقة من الحرس المسلح. وقفت أفروديت مقابلة لهاشم وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة الانتصار:

- كان على حكومتك أن تجد شخصًا غيرك.

لم يقل هاشم شيئًا بينما طأطأت راما رأسها نحو الأرض في علامة واضحة على خجلها من الفشل الذريع الذي لحق بها وبزميلها في هذه المهمة، قالت أفروديت:

- لقد بعت أسرار بلدك بمبلغ فاق التوقعات.

قال لها هاشم حينذاك شيئًا كان في غاية الغموض:

- لا تفرحي كثيرًا؛ فمن المعروف أنَّ البضاعة التالفة يُعاد ثمنها.

قالت وكأنها لم تطمئن للهدوء المريب في جملته السابقة:

- ماذا تقصد؟!

- ألم تسمعي عن فضائل الصبر؟!.. انتظري وسترين بنفسكِ.

وفي تلك اللحظة من الغموض الطاغي، انفرج باب القبو بقوة شديدة ليعبره خمسة من أفراد الحراسة الخاصة يتقدمهم أحد أسياد منظمة التاج الأزرق وقد بدت عليه أمارات الغضب.

ما إن رأت أفروديت ذلك الرَّجُل حتَّى حنت له رأسها في دلالة على احترامها لمقامه، ولكنها ما كادت أن ترفع رأسها وتنظر إليه حتى طالتها صفعة أعقبتها تلك الصرخة:

- أيتها الخائنة!!

وقعت أفروديت أرضًا مدفوعة بالصفعة، وقالت في رعب:

- لماذا تنعتني بالخائنة يا سيدي؟

- الملف الذي قمتِ ببيعه!

- ما به؟

- إنَّه تالف!

اتسعت أعيُن الجميع في ذهول، بينما ابتسم هاشم في ارتياح متمتمًا بينه وبين نفسه: "الحمد لله".

التفتت أفروديت نحو هاشم وقد أدركت أنه السبب، ولكنها لا تعرف متى وكيف استطاع ذلك الشبح أن يفعلها وهو لم يقترب من الملف أبدًا وقد كان محبوسًا طوال الوقت في القبو.

هتف السيد الذي صفعها وهو يرفعها من شعرها عن الأرض:

- لن نغفر لكِ هذه الخيانة.

قالت له بتوسل:

- أقسم لك أنني لا أعرف شيئًا.

- لقد أظهر الكشف أنَّ الموجة الكهرومغناطيسية التي أحرقت الملف قد انبعثت منكِ.

اقترب منها أحد حراس الأمن في تلك اللحظة وقام بتفتيشها مستخدمًا جهاز كشف المعادن اليدوي، وما إن مرَّر الجهاز من جهة وراء كتفها حتى انبعث صوت الطنين، سحبها السيد بعصبية وقام بتحسس منطقة ما وراء كتفها حتَّى اصطدمت أصابعه بشريحة صغيرة، لاصقة وشفافة.

انتزعها وهو يتأملها في غِل:

- هذه الشريحة هي التي أحرقت الملف وأطاحت بسمعة المنظمة، سنوات طويلة من العمل السري والمجهودات الكبيرة، كلّها ضاعت في الهواء بسبب غبائكُ.

أدركت أفروديت الحقيقة واسترجعت المشهد الذي كانت فيه قبل زهاء الساعة تستعد لصفع راما على وجهها: لقد تدخل هاشم في تلك اللحظة وامسك بيدها، ثم قام - مستغلًّا حرارة المشهد - وألصق الشريحة بيده الأُخرى في فستانها دون أن تنتبه.. ولا شك أن صعودها لاحقًا على خشبة مسرح المزاد واقترابها من الملف على مسافة تقل عن المتر.. ولمدة تجاوزت الثلاث دقائق قد أسهم في تفعيل الشريحة وإتلاف كل محتويات الملف.

ولكن ما الفائدة من إدراك كل هذا الآن؟!.. فقد خسرت منظمة التاج الأزرق الملف وسمعتها.. وربح كلًّا من الشبح وراما ووطنهما اللعبة.

قال السيد في غضب:

- إن كنتِ تعلمين بشأن الشريحة فهي خيانة، وإن كنتِ لا تعلمين فهذا إهمال، وكلاهما يستحق الموت - ثم التفت إلى عناصر أمن المنظمة وقال وهو يغادر:

- اعتقلوهم جميعًا.

صاحت أفروديت:

- إنني أطالب بحصانة مؤسس التاج!!

توقف السيد مكانه، وقال دون أن يلتفت إليها:

- طلبكِ مرفوض.

- ولكنك لا تستطيع سفك دمي.

استدار بجسده وسار إليها بخطوات عصبية، أمسكها من شعرها وقال متوعدًا:

- انتماؤكِ المباشر للعائلة التي أسست المنظمة يمنحك حصانة تمنعني من سفك دمكِ، ولكن هذا لا يعني أبدًا أنَّني لا أستطيع قتلكِ بطرق أخرى.

- أنا الحفيدة الأخيرة للمؤسس؛ وموتي يعني فناء المنظمة.

صمت السيد قليلًا، كان صمته ذاك يعني أنه يعرف تلك النقطة جيدًا؛ فقد كتب مؤسس التاج الأزرق في وصيته "**المنظمة تفنى مع فناء سُلالته**" ورغم ذلك تصرف السيد دون اكتراث وكأنه كان يعرف حلًّا يضمن استمرار منظمة التاج الأزرق حتَّى بعد موت الحفيدة الأخيرة.

أفلت شعرها من يده ثم أشار نحوها ونحو هاشم وراما وقال يأمر الحراس وهو يغادر:

- خذوهم إلى أرض المقبرة الجنوبية، وادفنوهم أحياء.

9

"التابوت"

الأنفاس الأخيرة

أنفاسٌ حارقة كانت راما تلتقطها بصعوبة وهي داخل تابوت الحديد الذي دفنوها فيه على مسافة متر ونصف المتر أسفل الأرض، وكانوا قد ألقوا بمسدسها معها وكأنَّ المنظمة بذلك أرادت أن تزيد جحيمهم بأن تُعطي لكل واحد منهم الفرصة ليختار ما بين الانتحار أو الموت اختناقًا.

ورغم تلك النهاية الحزينة.. إلا أن شيئًا ما في نفسها كان سعيدًا.. لم يكن منبع السعادة ذاك عائدًا فقط إلى إتمام المهمة بنجاح بل لأن راما تخيلت مدى الفخر الذي سيكون عليه ابنها عندما يكبر ويخبرونه ذات يوم أن أمه ماتت بطلة.

وبكت راما تلك اللحظة عندما استرجعت ملامح ابنها البريئة في ذاكرتها وصاحت وهي مدفونة في تابوتها تناديه، والعرق يحرق عيونها بينما المسدس الذي أعطاها إياه مَلِك في يدها.. كان الانتحار أهون عليها من الموت بتلك الطريقة البطيئة - وكانت ستفعلها - لولا خوفها بأن تُكتب عند الله منتحرة.

بدأ الهواء يقل داخل التابوت بشكل ملحوظ، وما هي إلّا دقائق حتى بدأ الموت يجثم على صدرها ويقبض على عنقها بواسطة أنيابه المخيفة.

تمتمت ورأسها يميل جانبًا؛ نتيجة لدخولها مرحلة فقدان الوعي:

- هـ.. هـ.. هـ اشم..

وفي تلك اللحظة الأخيرة بدأ جسدها يشهق بطريقة غير إرادية في سبيل الحصول على هواء ما عاد متوفرًا، وبدأت أذناها في الوقت ذاته تسمع فوق رأسها صوتًا يُشبه صوت الحفر، وكأن أحدًا جاء لينقذها، ولكن راما تُدرك استحالة ذلك الأمر، وأن ذلك الصوت الذي تسمعه لا يعدو كونه أكثر من مجرد أوهام ما قبل الموت.

فقدت راما وعيها أخيرًا، وما كاد ذلك يحدث حتَّى توقَّف صوت الحفر وفتح أحدهم عليها التابوت بملامح وجه مذعورة، مدَّ نحوها إصبعًا معقودًا فيه خاتم للتسبيح، ليتحسس بإصبعه عِرق الحياة في عُنقها، ثم قال وهو ينتشل جسدها من جوف التابوت:

- ما زال الوقت مبكرًا على الموت يا صغيرتي.

10

بعد وقت قصير من ذلك استعادت راما وعيها لتتفاجأ بأنها تتمدد فوق فراش ممزق داخل جوف كهف مهجور.. وثمة عمود إنارة يعمل بالبطاريات يُهاجمها بضوء شديد السطوع.. أغمضت عينيها عدّة مرَّات حتَّى فتحتهما بعد أن اعتادت الضوء، وتمتمت كأنها تهذي:

- أين أنا؟

رد عليها الصوت قائلًا: في الجنة.

ابتسمت راما وهي تنظر إلى صاحب الصوت الذي كان يبتسم لها كاشفًا عن أسنان بيضاء بينها سنة مميزة، قالت وقد أحست بالارتياح لرؤيته:

- لا أظن أن الشياطين تعيش في الجنة.

التفت مَلِك يُحادث شخصًا آخر كان يتمدد على فراش مجاور ويتساءل في سُخرية:

- من يصدق أن خِفة الدّم هذه تخرج من فم شخص انتشلناه في اللحظة الأخيرة من بين أنياب الموت؟

اتسعت عينا راما في دهشة ممزوجة بالسعادة وهي تلتفت إلى الفراش المجاور لها وترى الشخص الممدد.. كانت الفرحة أكبر من أن تستطيع احتمالها فدمعت عيناها.

نهض هاشم مقتربًا منها وهو يقول:

- يجب أن أعترف لكِ بأن نظريتكِ كانت صحيحة يا راما، وأنه يجب عليهم

أن يعلموها في المدارس والجامعات أيضًا.

من بين دموعها قالت وقد نسيت:

- لا أفهم عن ماذا تتحدث.

- النظرية السابعة للحياة: لا ينجح الرجل في شيء، دون وجود امرأة تُسانده.

ابتسمت راما، بينما واصل هاشم معترفًا:

- ما كنت لأنجح في هذه المهمة، لو لم تكوني معي.

ثم وهي في غمرة فرحتها كانت تريد أن تفهم كيف انتهى كل شيء، فقالت:

- كيف استطعت أن تنقذنا يا مَلِك في اللحظة الأخيرة؟

ناولها مَلِك منديلًا لتمسح به دموعها ثمَّ قال يشرح كيف استطاع تحديد مكان قبريهما بدقة وإنقاذهما في اللحظة الحاسمة:

- لقد كان هذا بفضل احتفاظكِ بمسدسي.

قالت وكأنها فهمت الحيلة:

- هل تعني...

- نعم أيتها الذكية؛ فمسدسي مزود بجهاز للتتبع وإلا فلماذا كنت سأهديكِ إياه في تلك اللحظة؟

- لقد أثبتّ لي أنَّك تملك عقلًا.

- بالطبع، وإلا لما تخرجت من الثانوية العامة بنسبة ستين بالمئة.

قالها بطريقة جادّة وكأنَّه قد حاز بذلك شيئًا غير مسبوق، كادت راما أن تُلقي المنديل من يدها بعد أن انتهت من مسح دموعها به، ولكن ملك

أخذه منها ووضعه بجيبه.

قالت ساخرة:

- لقد مسحت به أنفي.

- لا يهم؛ فقد مسحت به أنفي قبلكِ.

انطفأت ابتسامتها تلك وبانت عليها ملامح التقزز والتقرف:

- هل تعتقدين أنَّنا نقيم داخل أحد فنادق الخمسة نجوم يا صغيرتي، إننا مشردون في أحد الكهوف المهجورة بمنطقة بئر طويل ويجب ألا نُهدر مواردنا.

- مجنون!!

ابتسم وهو يقول: هذه أجمل كلمة يُمكن أن تكافئيني بها.

كان هنالك سؤال يشغل فضولها:

- ما الذي حدث لأفروديت يا تُرى؟!

تصاعد رنين هاتف مَلِك في تلك اللحظة فانشغل بالإجابة على المتصل.. بينما قال هاشم يُجيبها على سؤالها المتعلق بمصير أفروديت:

- عندما فتحنا تابوتها وجدناه خاليًا؛ ولا نعرف ما حدث لها.

- وما الذي سوف نفعله الآن؟

أجابها مَلِك وهو يُغلق الخط من المتصل:

- إن لم تكن لديكِ مواعيد عاجلة هنا، فإننا سوف نستغل عتمة الفجر في تحركنا للوصول إلى المنطقة الحدودية.. ثمَّ نُغادر هذه البئر اللعينة إلى أرض الوطن.

11

قاعة الاحتفالات

في قاعة احتفالات كبيرة داخل أحد أهم الأبنية التابعة لوزارة الدفاع، وقف هاشم أمام لجنة من الضباط ذوي الرتب العالية يتقدمها أحد كِبار رجال الدولة.

تطلع إليه الرجل مبتسمًا في فخر وهو يقول:

- إن بلادك فخور بك.

هُنا تقدم الضابط ناصر الفرَّاد وهو يمد إلى الرجل صندوقًا أخضر، تناول الرجل - ذو المقام العالي - من جوف الصندوق قطعتين قماشيتين مُستطيلتين تحمل كل منهما شعار التاج السعودي ونجمتين وقام بتعليقهما على كتفي هاشم وهو يقول:

- مبروك يا سعادة العقيد هاشم ابن عبد العزيز.

نهض جميع من في القاعة وهم يُصفقون بحماس، وكان من الواضح أن أكثرهم سعادة أخته نرجس والمحقق نايف الذي كان يصفق بحماس مشجع أحرز فريقه هدف الفوز في الدقيقة الأخيرة من المباراة.. وفي تلك اللحظة سار هاشم نحو راما التي كانت تقف وإلى جوارها ولد صغير في الخامسة من عمره يُصفق بفرح طفولي وهو لا يعرف ما الذي يُصفق لأجله، وضع هاشم يده على شعر ابنها الناعم وقال مستغلًّا ذلك الموقف

المبهج:

- ألا تعتقدين أنه سيكون من الرائع أن يُصبح ابنكِ أخًا لأمل؟

ابتسمت في صمت فكان سكوتها ذاك يعني علامة الرضى.

❃❃

بعد التكريم بزهاء عشرة أيام، وفي منتصف الليل.. وبينما هاشم يكتب شيئًا في مفكرة الجلد التي كان يخبئها دائمًا أسفل مرتبة السرير، والتي كان مؤخرًا قد نحت على غلافها الخارجي بواسطة السكين اسم "آرسس" إذ تعالت طرقات خافتة على باب منزله، فداهمه شعور غريزي ألح عليه بأخذ احتياطاته الأمنية معه، تناول مسدسه بيده وذهب ليفتح دون أن يتوقع أبدًا نوع المفاجأة التي كانت تنتظره وراء الباب:

- أنتِ؟!

قالت أفروديت بتوسل: أرجوك اسمعني أولًا.

النهاية

هاشم

بلقيس

راما

رغبة عارمة خامرت هاشم تلك اللحظة في أن يُطلق النَّار عليها ويُنهي المسألة لكن أعماقه أبت ذلك.. ربما هو الفضول لمعرفة سبب قدومها أو ربما سبب آخر - سبب له علاقة بقلبه – هو ما منعه عن قتلها.

قال وهو يفسح لها مجالًا: - يجب ألا يراكِ أحد وأنتِ أمام الباب.

**

جلست مُقابلة له على أريكة الصالة، بينما هو جالس أمامها دون أن يتخلّى عن حذره.

قالت معاتبة:

- لم أكن أعرف أنَّك تستقبل ضيوفك ومسدسك بيدك.

- لكل ضيف استقباله الخاص، أخبريني عن سبب قدومكِ.

قالت معترفة:

- لقد ساعدني بعض أسياد المنظمة المخلصين لجدي في الهرب من التابوت، وقد كانت أمامي فرصة ذهبية لأن أهرب وأختفي تمامًا دون أن أترك خلفي أي أثر يقود إليَّ.. ولكنني عُدت إليك لأخبرك بأنَّ رؤيتي لك بعد مشاهدة خبر موتك في الأخبار، قد أيقظت بداخلي مشاعر كُنت أظن أنَّني لا أملكها.

- ما الذي تريدينه يا أفروديت؟

- أسألك بالله أن لا تناديني بهذا الاسم، نادني بلقيس.

- ما الذي تريدينه يا بلقيس؟

- أريد أولًا أن أعرف القرار الذي ستتخذه بشأن أمل.

- إنها ابنتي وسأتعامل معها كما يتعامل الأب مع ابنته.

لم تستطع أن تتفهم السَّبب الذي قد يدفعه لأن يُقرر الإبقاء على تلك الطفلة بعد أن عرف أنَّها ليست ابنته الحقيقية وأنها طفلة تجري في عروقها دماء المنظمة:

- كيف يتسع قلبك لها بعد أن عرفت حقيقتها؟

أجابها بشيء لن يتسع عقلها له أبدًا:

- لأنه هكذا يفعل الأبطال الخارقون.

- ألا تعتقد أنَّ أمل تحتاج لأمها أيضًا؟!

- الخدمة الوحيدة التي قد تقدمينها لأمل هي الابتعاد عنها.

- أنا لست سيئة كما تظن.

- الأفاعي السامة تقول ذلك أيضًا.

اشتعل قلبها حزنًا، فلم يكن من السهل عليها أن تسمع تلك الكلمات القاسية من الشخص الوحيد الذي أحبته بصدق في حياتها كلّها:

- كان جدِّي الأكبر هو من أسَّس منظمة التاج الأزرق، لقد نشأت في هذا العالم يا هاشم وأنا أتدرب على حمل السلاح والقتل والتخفي وانتحال الشخصيات وكل ما لا يخطر ببالك من الإجرام للوصول إلى الأهداف التي تحددها المنظمة، أنا لست سيئة كما تظن ولكنني أُجبرت على ذلك.

بدا لأوَّل مرَّة أنَّه قد تفهم الظروف القهرية التي مرَّت بها تلك الإنسانة وجعلت منها امرأة سيئة.. إنه لا ذنب لها.. فقد تم حقنها بالشر منذ طفولتها حتى استحالت في نهاية المطاف إلى شيطانة رجيمة.

قالت مواصلة حديثها:

- سامحني يا هاشم أرجوك.. أرجوك سامحني ودعنا نعش ثلاثتنا تحت سقف واحد، فأعود لك الزوجة وأحمي أمل من أي خطر قد يتهددها في المستقبل.

لفتت انتباهه تلك الكلمة التي قالتها في نهاية جملتها:

- ما الذي تقصدينه بخطر يتهددها؟

- عندما يعرف أسياد التاج الأزرق أنَّ دمائي تسير في عروقها وأنَّها تنتمي لذات سلالة المؤسس فإنهم لن يتركوها.. وسوف يسعون لتجنيدها في صفهم وتتويجها كأحد عناصر المنظمة.

كان كلامًا خطيرًا ذاك الذي قالته وقد نجح بالفعل في إثارة القلق داخل أعماقه، وفي تلك اللحظة القلقة بالنسبة إليه قالت شيئًا جعل لها قيمة أكبر لديه:

- أنا الوحيدة القادرة على حمايتها.

بدا أنَّها نجحت في تغيير عزيمته بعض الشيء؛ فخفض مسدسه عنها وقال متسائلًا:

- ولكنكِ مطلوبة لدى الحكومة السعودية.

- أفروديت هي المطلوبة، ولكنني أستطيع التخفي بهوية بلقيس فأصبح سرك الصغير.

ولما بدا أنَّه كان مترددًا في اتخاذ قراره قالت كما لتدير بصره نحو الجهة التي

تريده أن ينظر إليها:

- تذكَّر أنك تفعل هذا من أجل حماية أمل.

إنها تطلب منه أن ينسى كل ما حدث في الماضي وأن يتقبّل فكرة أن تعيش معه بهوية "بلقيس" متفادية بذلك مطاردة الحكومة السعودية، مقابل تعهدها له بحماية أمل من خطر المنظمة التي قد تسعى لتجنيدها عندما تكبر.

عصفت بأعماقه الكثير من المشاعر فهو قد صارح راما برغبته في الارتباط بها، ولكن ما سمعه الآن سوف يُجبره بالتأكيد على التراجع عن تلك الخطوة، قال بعد لحظات من التفكير:

- غادري الآن وغدًا نلتقي في قسم الحضانة لزيارة أمل.

سارت نحو الباب، ولكنها قبل أن تغادر قالت:

- وماذا بشأن طلبي يا هاشم؟! هل تدعنا نعيش في منزل واحد؟!

- مصلحة أمل فوق كل اعتبار.

اجتاحتها سعادة غامرة وهي تتلقّى منه إشارة الموافقة بينما أكمل كلامه قائلًا:

- ولكن هنالك ما يجب عليَّ القيام به أولاً.

قادها إحساسها الأنثوي لأن تقول في فضول:

- أهو أمر متعلق بتلك الزميلة؟!

- نعم، فقد تقاربنا خلال الوقت الماضي ويجب قبل كل شيء أن أسوي الأمر معها.

**

في ساعة متأخرة من ذلك الليل، وفي الطابق الرابع للعمارة السكنية الواقعة في حي غرناطة بالقرب من المركز التجاري الذي يحمل الاسم نفسه.. تعالى صوت جرس الشقة، فتحت راما الباب بالقدر الذي تتيحه لها سلسلة الأمان الحديدية، نظرت

نحو الطارق بحذر ولكنها ما إن رأت ذلك الزائر أمامها حتَّى أزالت السلسلة وندت عنها ابتسامة عفوية:

- هاشم؟!

قال بصوت جادّ:

- هنالك أمر جئتُ لأنهيه يا راما.

يوم الغد

قبل منتصف النهار بنصف ساعة

وقف هاشم في قسم العناية المركزة للأطفال حديثي الولادة، وإلى جواره بلقيس ينظران إلى أمل الراقدة داخل اختراع حديث الصنع هو عبارة عن: أنبوب بلاستيكي مملوء بسائل ما وقد صُمم ليحاكي رحم الأم.

ركز هاشم نظره في صورة بلقيس المنعكسة بوضوح على زجاج غرفة الحضانة.. وفي تلك اللحظة فقط لاحظ مدى التشابه الكبير بينها وبين البحر.

لقد كانت فتاة تُشبه البحر: **تبدو عادية لمن ينظر إليها من بعيد، لكنها أعمق بكثير ممَّا قد يظنه أحد.**

قالت مقاطعة تأملاته:

- هل انتهيت من تسوية أمرك مع تلك الزميلة؟

- نعم، لقد انتهى الأمر.

قادها إحساسها الأنثوي لأن تقول في فضول:

- أهو أمر متعلق بتلك الزميلة؟!

مالت برأسها على كتفه - وقد أراحها سماع ذلك - قالت وهي تتأمل ما وراء زجاج نافذة الحضانة:

- كيف تتخيل أمل عندما تكبر؟!

دفعه سماع اسمها لأن يبتسم بشكل عفوي، ووجد نفسه يقول:

- سوف تعيش هذه الفتاة أكثر من حياة واحدة.. سيحبها الجميع، وسيقع كل من يقابلها في سحرها.. وبينما هي في مكان واحد سوف تدور العالم كله.. وتتواجد في أزمنة عديدة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، سوف تعقد صداقاتها مع النجوم والبحار والمخلوقات الغريبة؛ كل ذلك لأنها تحب القراءة.

- تتحدث بثقة وكأنك قد التقيت بها وهي كبيرة.

لم يُجب هاشم واكتفى بأن ابتسم بثقة وهو ينظر من خلال زجاج نافذة الحضانة نحو أمل الراقدة بسلام في جهاز الرحم الاصطناعي. نعم لقد التقى بها وهي كبيرة وتعلم منها أشياء كثيرة، وكانت له فيما مضى وستغدو له في المستقبل حُبًّا وحنانًا وأمًّا صغيرة.

في تلك اللحظة قطعت الطبيبة عليهما الحديث بعودتها:

- انتهت الزيارة.

ثم رافقتهما إلى بوَّابة المستشفى وأكّدت لهما وهي تُلقي عليهما تحية الوداع أنَّ الطاقم الطبي سوف يعتني بطفلتهما جيدًا ريثما يقرر الأطباء لاحقًا كتابة توصية لها بالمغادرة.

الثانية عشرة ظهرًا، ودقيقة.

بينما كان هاشم يهبط سلالم المستشفى وإلى جواره بلقيس، إذ فجأة يسمع صوت عيار طلقة نارية ذات صوت خطير، وقد خيل إليه أنَّه استطاع الإحساس بها - بالطلقة النارية – وهي تمضي من جواره وتستقر بجسدها.

ترنَّحت بلقيس وجسدها يستقبل خيط النَّار القاتل.. وحين التفتت نحو هاشم - وجسدها ينزف دمًا - أدركت وهي تنظر إلى ملامحه الثابتة أنه كان الشخص الذي دبر أمر تلك الرصاصة.

فارتمت نحوه مُتشبثة بيده ورفعت بصرها تنظر إلى ملامحه الجامدة، قالت - وسكرات الموت تخنقها - كلمة كانت تلفظها بصدق لأول وآخر مرة في حياتها كلها:

- أُحبّك.

أمَّا هو فقد تمتم في أذنها بكلمات أربعة ثم أفلت يده عنها.

وما إن تمددت جثتها أرضًا حتَّى رفع هاشم رأسه ونظر صوب المكان البعيد - نافذة الفندق - التي أتت منها الرصاصة.. وهناك رفعت راما عينها عن منظار البندقية القناصة وأومأت له برأسها كعلامة على انتهاء المهمة التي أوكلها إليها ليلة البارحة.

**

لقد أدرك الحقيقة الكاملة:

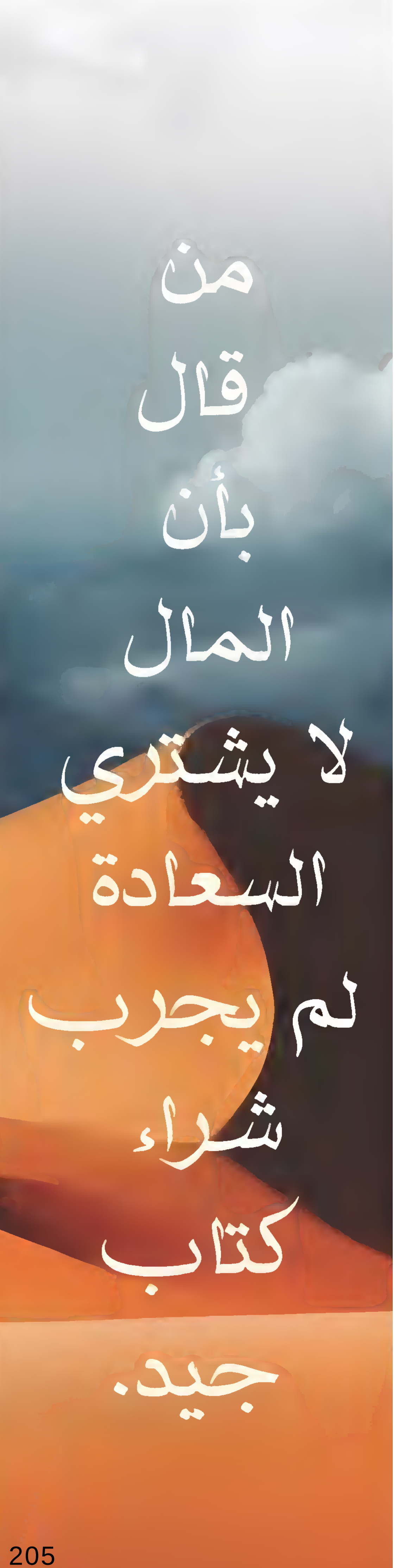
كان يجب عليه أن يثق بأقدار الله، فمهما بدت أقداره للوهلة الأولى قاسية.. إلّا أنَّ في قرارها الكثير من اللطف والحب والرحمة، لقد أُتيحت

لذلك الإنسان فرصة اختيار القدر الذي يراه مناسبًا، ولكنه في النهاية عاد ليختار بنفسه القدر الذي اختاره الله له في البداية.

سار هاشم في الاتجاه المعاكس للفريق الطبي الذي اندفع من بوَّابة الطوارئ الجانبية نحو الجثة الممددة على سلالم المستشفى، بينما كان يسترجع في ذهنه المشهد الأخير لبلقيس أو أفروديت - لا يهم - وهي تتشبَّث بيده وتهمس له قائلة "أُحبَّك".. واصل سيره مبتعدًا من هُناك بخطوات بطيئة وهو يردد الكلمات الأربعة تلك التي همس بها في أذنها قبل أن يُفلت يده عنها ويتركها تسقط:

- ولكنني أحب وطني أكثر.


آرسس


من
قال
بأن
المال
لا يشتري
السعادة
لم يجرب
شراء
كتاب
جيد.

أتعرف ما هو أسوأ من الموت ؟!
إنها الحقيقة التي تنتظرك بالداخل













